المختار الإسلامى

مجلة كل المسلمين
www.almokhtar-aleslami.com

العدد ٣٢٦ – السنة ٣١ – غرة شوال ١٤٣٠هـ – ٢٠ سبتمبر ٢٠٠٩م – الثمن ثلاثة جنيهات

• القرضاوى وفقه الجهاد

• مأزق حلف الناتو فى أفغانستان

• الغرب والعنصرية

فى هذا العدد

- السلام عليكم (حرب أوباما الفاشلة) .... حسين عاشور ١
- خواطر مسلم (مأزق حلف الناتو فى أفغانستان) د. محمد مورو ٤
- أضواء (الإسلام الصوفى - ٢) .... د. محمد يحيى ١٤
- مغامرات غيور (الجائزة المسمومة) .... م. محمد أنور رياض ١٨
- هل كان الإسلام سببا فى تخلف المسلمين ؟... محمد يوسف عدس ٢٣
- شهريات (التعلق بذيول الخنزير) .... د. عبد الفتاح الحسينى ٤٦
- لمحة (الفارس الصليبى واستئصال الإسلام) !! أ.د. حلمى القاعود ٣٣
- نحو وعى سياسى
(الشيخ القرضاوى وفقه الجهاد) .... د. محمد عباس ٥٤
- فى الصميم (القرآن الكريم .. حقائق وخصائص) محمد رشاد حسانين ٧٢
- النظام والإخوان جولة فاصلة أم سجال بلا صقف محمد السروجى ٧٦
- رسالة أكاديمية تؤكد : مجلة المختار الإسلامى لم
تأل جهدا فى تبنى قضايا المسلمين والدفاع عنها إبراهيم وهبة نعيم ٧٨
- إدارة الأزمات .... الهتيمى .. ومحمد عادل ٨٨
- ليالى كرداسة (٢) .... م.م. أنور رياض ٩٠
- يوميات إسلامية .... على عبيد ٩٤

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم

حرب أوباما الفاشلة

في برنامج الرئيس الأمريكي باراك حسين أوباما، ركز الرجل على ضرورة هزيمة حركة طالبان وتصفية القاعدة في أفغانستان، معتبراً أن المعركة في أفغانستان هي المعركة الأهم، وأن اليمين الأمريكي المحافظ الذي حكم البيت الأبيض إبَّان فترتي رئاسة بوش أخطأ حين تورط في العراق على حساب أفغانستان، وأنه كان يجب التركيز على أفغانستان أولاً .

واعتمد فريق أوباما في هذا التحليل على عدد من الأمور كالتالي :

- أن المركز الرئيس للقاعدة هو أفغانستان، وأن العراق مثلاً لم يشهد أي ظهور للقاعدة والإرهاب قبل الغزو الأمريكي عام ٢٠٠٣

- أن الحلفاء الغربيين الذين عارض بعضهم غزو العراق، كانوا متحمسين أو على الأقل موافقين على المساعدة في المجهود الحربي الغربي والأطلسي والأمريكي في أفغانستان، فقد أرسلت ألمانيا مثلاً حوالي ٥ آلاف جندي بمعداتهم العسكرية إلى أفغانستان، في حين رفضت مسألة غزو العراق وعارضتها علنًا .

- أن السماح بنجاح حركة طالبان في أفغانستان، يعني تأمين قاعدة آمنه للإرهاب الإسلامي المتطرف، وهذا خطر على كل الغرب وليس أمريكا وحدها .

- أن التركيب السكاني والواقع الجغرافي الإقليمي يعطي قوة كبيرة للإرهاب الإسلامي في تلك المنطقة، على عكس العراق، الذي يعاني تمزقا طائفيا وعِرقيا يحُول دون زيادة رُقعة الإرهاب الإسلامي الأصولي، بالإضافة إلى عدم قدرة هذا الإرهاب الإسلامي في العراق على التمدد الإقليمي؛ بسبب النفوذ الإيراني .

- أن الإرهاب الإسلامي سني سلفي؛ أما في أفغانستان فإنه يستند على أغلبية الشعب الأفغاني، وله امتدادات في باكستان، بل في معظم الدول المحيطة بأفغانستان وآسيا عمومًا، وحركة المقاومة في أفغانستان غير منقسمة، ولها خطاب إعلامي وسياسي مقبول في عموم البلاد .

هذه الأمور وغيرها تجعل من أفغانستان البؤرة الأخطر في مسألة الحرب على الإرهاب .. ويفيد البعض أن الحرب في أفغانستان وباكستان هي حرب أوباما، كما كانت الحرب في العراق هي حرب

جورج بوش، ولكن هل نجح أوباما والإدارة الأمريكية الجديدة في تحقيق نصر حاسم أو في مجرد تقديم في هذه الجبهة ؟!..

وفي الحقيقة فإن الإجابة على هذا السؤال تقول : إن الفشل الأمريكي الأطلسي الغربي في أفغانستان يزداد مع الوقت، وليس العكس، فهذا الفشل ليس في الجانب العسكري فقط؛ ولكن في الجانب السياسي أيضًا .. وإذا أخذنا الانتخابات الأفغانية الأخيرة نموذجًا، نجد أن نسبة الحضور تناقصت بشكل كبير جداً عن الانتخابات السابقة، رغم الحديث عن دفع رُشًى لزعماء في الشمال أمثال عبد الرشيد دستم، لدفع الناس هناك للتصويت لحامد كرزاي، رغم الحضور الكثيف لطائفة الطاجيك تأييداً للمرشح الطاجيكي عبد الله عبد الله، وهذا يعني أن الخطاب السياسي لطالبان مقبول، وأن الناس، خاصة البشتون، امتنعوا طواعية عن التصويت: تأييداً لطالبان ورفضًا للاحتلال، كما أن تبادل الاتهامات بشأن تزوير الانتخابات وممارسة الرشوة والضغوط بين المرشحين يعني المزيد من تفكُّك النظام الأفغاني ومزيداً من الضعف المستقبلي في أداء هذا النظام، وهذا يزيد من العبء السياسي على الولايات المتحدة وإدارة أوباما .

ومن الناحية العسكرية فإن كل التقارير، بما فيها التقارير الغربية ذاتها، تشير إلى تصاعد قوة حركة طالبان .. ولعل قراءة أعداد القتلى والجرحى في صفوف القوات الغربية في السنة الأخيرة مقارنة بالسنوات السابقة، يقول إن هناك ارتفاعاً مضطرداً في أعداد القتلى والجرحى، وأن هذا الارتفاع كان حاداً في السنتين الأخيرتين ..

– فقائد التحالف الغربي في أفغانستان الجنرال ستانلي ماكريستال كان قد طلب زيادة عدد القوات الأمريكية والبريطانية والغربية في أفغانستان، وهذا يعني أن الأمور تتعقد هناك .

– وكانت صحيفة صنداي تايمز البريطانية قالت : إن وزارة الدفاع البريطانية تتخبط في أفغانستان، ووفقًا لتقرير سري نشرت الصحيفة أجزاءً منه، فإن قرارات وزارة الدفاع البريطانية خاطئة، وإن تلك القرارات مسئولة عن إلحاق الضرر بالجنود البريطانيين في أفغانستان، وتوقعت الصحيفة أنْ يتسبب هذا التقرير في حرج شديد للحكومة البريطانية .

– وأيضًا فإن هناك مطالب من سياسيين ومن الرأي العام في كل من بريطانيا وألمانيا والولايات المتحدة وكندا بانسحاب قوات تلك البلاد من تلك الحرب، فوزير الخارجية الألماني فرانك فالتر شتاينماير طالب بوضع جدول زمني للانسحاب من أفغانستان، ووزير الخارجية الألماني شريك في الحكم مع رئيسة الوزراء؛ حيث يشكِّل حزبه الاشتراكي الديمقراطي تحالفًا وزاريًا مع حزب المحافظين

الذي تترأسه أنجيلا ميركل .

- وكذا فإن البرلمان الكندي طالب بسحب القوات الكندية من أفغانستان، وفي بريطانيا ذاتها تزايدت الضغوط في هذا الصدد، أما في الولايات المتحدة فإن قطاعاً من الديمقراطيين المنتمين إلى نفس حزب الرئيس أوباما يطالبون بالانسحاب من أفغانستان في غضون عام، وقد طالب السيناتور الديمقراطي روسيل فاينجولد بتحديد جدول زمني للانسحاب من أفغانستان .

- وأما الجنرال ستانلي ماكر يستال، قائد حلف الناتو، فقال : إن حركة طالبان أصبح لها اليد العليا في أفغانستان، وإن نفوذها امتدَّ إلى ما وراء معاقلها التقليدية في جنوب البلاد، وطالب بزيادة تقدر بـ ٥٠ ألف جندي للقوات هناك، حتى يمكن مواجهة تصاعد قوة حركة طالبان .

- وفي الإطار نفسه أكد جنرال بارز في الجيش الأمريكي لصحيفة وول ستريت جورنال الأمريكية أنَّ حركة طالبان بدأت تمارس نفوذها وقوتها فيما وراء معاقلها في الجنوب لتشكل تهديداً مباشراً للمناطق المستقرة في الشمال والغرب، وأن الحركة بدأت في شن هجمات معقدة تجمع بين استخدام الألغام الأرضية والقنابل وغارات تشنها مجموعات صغيرة من المقاتلين بمستوًى متقدم .

- واعترف جنرال ثالث هو أنطوني كورد سمان، مستشار القيادة الأمريكية في كابول، بأن طالبان تمكنت من توسيع رقعة نفوذها من ٣٠ منطقة عام ٢٠٠٣ إلى ١٦٠ بنهاية عام ٢٠٠٨ .

حسين عاشور

المختار الإسلامى
مجلة كل المسلمين
تصدر عن
جمعية المختار الإسلامى
المسجلة بوزارة الشئون الاجتماعية
٣ حارة الجمل
متفرع من ميدان السيدة زينب
أسسها حسين عاشور
(١٣٩٩هـ - ١٩٧٩)
تصدر غرة كل شهر عربى
رقم الإيداع ٦٠٧٠ / ١٩٧٩
المشرف العام
حسين عاشور
رئيس التحرير
د . محمد مورو
سكرتير التحرير
حنان حسين عاشور
الإشراف الفنى
على عبيد
الإدارة والتحرير
٣ حارة الجمل
متفرع من ميدان السيدة زينب
تليفون : ٢٣٩٢٢١٥١
فاكس : ٢٣٩٢٢١٥١
الاشتراك السنوى :
داخل مصر ٥٠ جنيها
خارج مصر ٥٠ دولارا أمريكيا
المراسلات والحوالات والشيكات باسم
حنان حسين أحمد عاشور
بريد إليكترونى
alim_ebeid@yahoo.com
mokh_51@yahoo.com

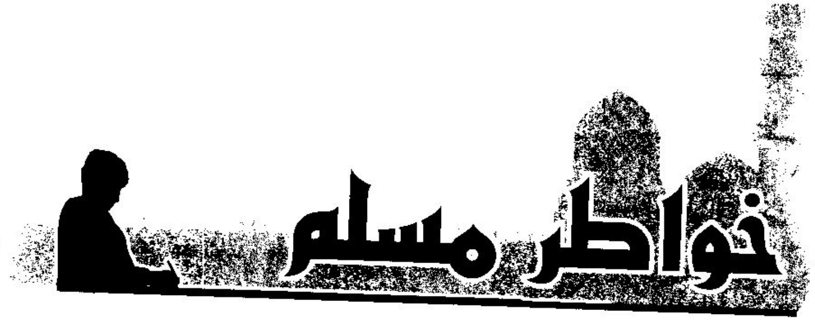

مأزق حلف الناتو فى أفغانستان

بعـد مـرور ثمـاني سنوات على دخـول القوات الأمريكية والأطلسية إلى أفغانستان ، فإن أياً من الأهداف التي أراد هؤلاء تحقيقها لم تتحقق ، بل إن الأمر يزداد سوءاً يوماً بعد يوم .

كـانت تلك الأهداف هي تحـقـيق الأمن ، القضاء على قوات طالبان والقاعدة ، إقامة جيش أفغاني قادر على ضبط الأمور في البلاد إقامة انتخابات ديمقراطية نزيهة وحرة ، ثم الانسحاب وكان مقدراً لذلك أن يتم في عام على الأكثر ، ولكن مـرت الأعـوام دون أن يتحقق شيئ من ذلك ، بل إن الاضطراب يزداد وطالبان تقوى يوماً بعد يوم .. وجنود الناتو يتساقطون قتلى وجرحى مما يضع حكومات الدول المشاركة في تلك القوات في مأزق أمام شعوبها ، وتزداد المطالبات بسحب تلك القوات يوماً بعد يوم ، ففي كندا وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية ذاتها وبريطانيا ترتفع الصيحات العلنية داخل البرلمانات وخارجها تطالب بوضع حد لتلك الحرب والانسحاب من هناك ، لأنها أصبحت بلا جدوى .

أكثر من حقيقة واعتراف تؤكد هذا المأزق الذي وصل إليـه حلف الناتو هناك ، ووصل إليـه الأمـريكيـون ذاتهم الذين ورطوا حلف الناتو ولم يستطيعوا به أو بغيره أن يفعلوا شيئاً .

مأزق أمريكي أطلسي

- كـان عـدد قـوات الناتو في البـداية محدوداً ، وكان مقدراً لها أن تقوم بدور في الإعمار وليس القتال ولكنها تورطت شيئاً فشيئاً في القتال ولم تعد قادرة على حسم المعركة لصالحها ولا الانسحاب الآمن من هناك، لأن الانسحاب أصبح يعني شهادة وفاة لحلف الناتو ، وخطر على الحضارة الغربية برمتها كما اعترف بذلك هنري كيسنجر وهو حكيم أو أحد حكماء الغرب الكبار الذي قال إن الهزيمة في أفغانستان والعراق تعني خسارة ثلاثة قرون من التفوق الغربي وقد قال كلاماً شبيهاً بهذا كل من رئيس الوزراء البريطاني

بقلم: د. محمد مورو

السابق توني بلير وكذا دوائر في مراكز الأبحاث الأوروبية والغربية ، أكثر من هذا فإن الرئيس الأمريكي الجديد باراك أوباما ، والذي جاءت به المؤسسة أصلاً لكي ينقذ الغرب وأمريكا من هزيمة استراتيجية في العراق وأفغانستان، اعتبر أن المعركة الرئيسية مع الإرهاب هي في أفغانستان ، ومن ثم فإن الفشل الأمريكي أو الانسحاب يعني فشل أوباما شخصياً وفشل المشروع الأمريكي الجديد برمته ، أي هزيمة أمريكا بجناحيها الذي يمثلهما كل من إدارة جورج بوش السابقة وإدارة أوباما الحالية !..

– إن عدد قوات حلف الناتو شهدت تزايداً كبيراً في سنوات الحرب عموماً ، وسنواتها الأخيرة خصوصاً وعلى سبيل المثال فإن عدد قوات الناتو كانت في نوفمبر ٢٠٠٦ حوالي ٣٣ ألفاً من الجنود ، ووصلت الآن إلى ٦٢ ألف جندي . وزيادة الجنود تعني أن هناك مزيداً من المصاعب وأن الأهداف لم تتحقق ، بل إن هناك طلبات متزايدة من قادة الناتو لدول الأعضاء بزيادة عدد جنودها هناك لتصل إلى ضعف القوات الموجودة حالياً .

– في الإطار نفسه فإن قائد قوات حلف الناتو الجنرال "ستانلي ماكريستال" صرح لصحيفة "وول استريت جورنال" الأمريكية أن حركة طالبان بدأت تمارس نفوذها وقوتها فيما وراء معاقلها في الجنوب وتشكل تهديداً مباشراً للمناطق المستقرة في الشمال والغرب وأن الحركة بدأت في شن هجمات معقدة تجمع بين استخدام الألغام الأرضية والقنابل وغارات تشنها مجموعات صغيرة من المقاتلين المسلحين بمستوى متقدم وطالب الرجل بإرسال ٤٥ ألف جندي إضافي للحيلولة دون سيطرة طالبان الكاملة على أفغانستان .

– يعترف أنشوني كورديس مستشار القيادة الأمريكية في كابول أن القوات الأمريكية والغربية الموجودة حالياً غير كافية وأن طالبان تمكنت من توسيع رقعة نفوذها من ٣٠ منطقة عام ٢٠٠٣ إلى ١٦٠ منطقة بنهاية عام ٢٠٠٨ .

– إن دول الناتو المشاركة في الحرب ترفض حتى الآن إرسال المزيد من القوات ، بل إن القوات الفرنسية والألمانية الموجودة داخل أفغانستان ترفض إرسال قواتها إلى المناطق الأكثر خطورة جنوب أفغانستان مثلاً مما يدل على مدى الخطر الذي تمثله طالبان ، وعلى تفكك إرادة القوى المشاركة في قوات الناتو .

– يعتبر قائد القوات الأمريكية في

أفغانستان أن الاستراتيجية المتبعة حالياً هناك غير مجدية ، وطالب في تقرير مرفوع للرئيس الأمريكي ضرورة تغيير تلك الاستراتيجية ، وأن هناك ثلاث سنوات على الأقل تنتظر القوات الأطلسية في أفغانستان .

حرب أوباما الفاشلة

يعتبر المراقبون أن الفشل الأمريكي في أفغانستان هو بداية النهاية للرئيس الأمريكي باراك أوباما ، وإذا كانت المؤسسة الأمريكية قد جاءت بالرئيس باراك أوباما ليحل المشكلة الأمريكية ، فإنه في الحقيقة فشل في ذلك ، وهذا يعني أن كل الطرق والوسائل والشخصيات والاتجاهات الأمريكية غير قادرة على التعامل مع الإرهاب ، ولعل هذا الفشل يفسر اهتمام الرئيس الأمريكي باراك أوباما بتحقيق أي نصر سريع ولو في الجبهة الباكستانية على طالبان باكستان ، وتوريطه للجيش الباكستاني في ذلك رغم كل المخاطر المحيطة بالموضوع ، فهو يريد السيطرة على منطقة الحدود الأفغانية الباكستانية التي يتصور أن قيادات القاعدة تختفي داخلها ، ومن ثم فإن القتل أو القبض على أحد القيادات الهامة للقاعدة هناك أسامة بن لادن أو أيمن الظواهري ، يحقق للرئيس الأمريكي نصراً إعلامياً ، يمكن استخدامه قبل الانتخابات الأمريكية للكونجرس التي تحل قريباً ، وكذا يمكن استخدامها في إقناع الأمريكيين بجدوى تلك الحرب ، خاصة أن الأصوات بدأت تعلو مطالبة بانسحاب القوات الأمريكية من أفغانستان ، ولكن هذا الأمر المشكوك في تحققه أصلاً ، يعني تفكيك باكستان وتقسيمها . وهو أمر خطير على المستوى الاستراتيجي على استراتيجية الولايات المتحدة في المنطقة ، حيث إن الفوضى في تلك المنطقة تعني المزيد من الإرهاب وبصورة غير مسبوقة ، ولعلنا لا نضيف جديداً إذا قلنا أن القضاء على طالبان باكستان ليس أمراً سهلاً ، بل إنها تنفذ عملياتها ضد الإمدادات الأمريكية عن طريق باكستان حتى الآن ، وآخرها ما حدث في نهاية أغسطس الماضي !!.. ومعنى هذا أن على أمريكا البحث عن طريق آخر لتوصيل الإمدادات لقواتها في أفغانستان ، عن طريق روسيا مثلاً ، وهو أمر يضعف أمريكا في الملفات العالقة مع روسيا ، ولعل هذه إيجابية لطالبان لحساب موسكو !!..

طالبان تزداد قوة

إذا أخذنا في اعتبارنا عدد العمليات ونوعياتها التي تقوم بها طالبان في أفغانستان ، وبقراءة إحصائيات عدد الجنود القتلى منذ عام ٢٠٠١ وحتى الآن ، نجد أن هناك تصاعداً سريعًا جداً في عدد القتلى والجرحى الغربيين والأمريكيين ، وأن هذه الأرقام تتضاعف في السنوات الأخيرة ، وكذا عدد العمليات التي تنفذها طالبان ومستواها من إقامة الكمائن إلى تحرير المناطق إلى تحرير الأسرى ، إلى ضرب القصر الرئاسي ، إلى قصف القواعد الأمريكية ، إلى الألغام الأرضية ، إلى قطع الإمدادات . . . الخ ،

وهذا يعني تصاعد حركة طالبان وزيادة قوتها يوماً بعد يوم ، بل وفشل كل العمليات التي كانت تستهدف استئصالها أو إضعافها ، "آخرها عملية الجنجر" .

ويعترف الجنرال ديفيد بيترايوس بأن الوضع الأمني في أفغانستان يتدهور وأن الأعداء يحققون مكاسب وأن شهر أغسطس ٢٠٠٩ كان الشهر الأكثر دموية في تاريخ القوات الأمريكية في أفغانستان ، وحسب الأرقام الرسمية فإن ٤٦ جندياً أمريكياً قد قتلوا هذا الشهر ليصل عدد القوات الأمريكية المقتولة حتى أغسطس ٢٠٠٩ إلى حوالي ٧٩٦ جندياً ، وهي أرقام تصل إلى الحدود الخطيرة غير المحتملة بالنسبة للرأي العام الأمريكي ، خاصة أن هناك أعداداً متزايدة من القتلى البريطانيين والألمان والفرنسيين والهولنديين والكنديين وغيرهم ، وكذا القتلى غير المرصودين من الشركات الأمنية التي يستأجرها الناتو للقيام بأعمال الحراسة مثلاً .

وعلى الجانب السياسي فإن نفوذ طالبان يزداد قوة داخل أفغانستان وعلى حسب النتائج المعلنة في الانتخابات وهي مزورة فإن عدد الذين خاضوا الانتخابات كان كبيراً ، الأمر الذي يعني وجود اقتناع شعبي بأن طالبان هي الممثل الحقيقي للشعب الأفغاني وليس حكومة القصر الرئاسي في كابول ، وكذا فإن وقائع التزوير سواء في الإعداد للانتخابات وتعيين أنصار كرازي في رئاسة اللجان الانتخابية ، والتلاعب في عملية التصويت والنتائج ، الأمر الذي رصده المراقبون وأدى إلى تشكيك المرشحين للرئاسة في العملية برمتها ، كل هذا يؤدي إلى المزيد من ضعف النظام الحاكم وعدم شرعيته ، وكذا يؤكد زيف الادعاء الأمريكي والغربي عن الرغبة في تحقيق ديمقراطية مزعومة وانتخابات نزيهة خصوصاً مع تواطؤ هؤلاء مع عمليات التزوير وقبولهم بها !! وهو أمر يفقد الغرب مصداقيته ، ويفقد الرئيس أوباما شخصياً كل بريقه أمام العالم عموماً ، والعالم الإسلامي خصوصاً وفي كل الأحوال فإن المحصلة أن طالبان تزداد قوة على الصعيدين السياسي والعسكري ، وأن الهزيمة قد لحقت بالفعل بالغرب ؛ كل الغرب وليس أمريكا وحدها في أفغانستان .

الهزيمة في أفغانستان أخطر من الهزيمة في العراق

الهزيمة الأمريكية والغربية في أفغانستان ستكون لها تداعيات خطيرة على الغرب وأمريكا ، وهي أفدح من الهزيمة الأمريكية في العراق لعدة أسباب منها :

- أن الحرب على أفغانستان قد حظيت برضا كل الفرقاء الغربيين بلا استثناء ، وشارك هؤلاء جميعاً فيها بقواتهم ، على عكس العراق التي عارض البعض في خوضها.
- أن باراك أوباما شخصياً اعتبر أن المعركة الرئيسية في الحرب على الإرهاب هي في أفغانستان .
- أن طالبان تمتلك امتدادات إقليمية في دول الجوار ، وتمتلك حاضنة شعبية مواتية ، بعكس المقاومة العراقية التي تعاني حاضنة شعبية مفككة ، ووضع طائفي معقد ، ووضع

إقليمي شديد التعقيد وليس في صالحها عموماً ، ومن ثم فإن انتصار المقاومة العراقية لن يكون ذا أبعاد مستقبلية خطيرة ، فهناك الفتنة الطائفية وهناك النفوذ الإيراني ، وهناك تفكك وانقسام حركات المقاومة العراقية ذاتها ، بعكس طالبان المتماسكة ، والتي لها قيادة واحدة مُعترف بشرعيتها وحاضنة وطنية وإقليمية مواتية ، ومن ثم فإن انتصار طالبان سيكون له ما بعده على المستوى الإقليمي ، بل والعالمي .

فتح من حركة تحرير إلى حزب سلطة وهمية

المؤتمر السادس لحركة فتح الذي انعقد مؤخراً في مدينة بيت لحم إحدى مدن الضفة الغربية (المحتلة) في ظرف إقليمي، ودولي، وفلسطيني شديد التعقيد قد فَتَحَ البابَ واسعًا للحديث عن مستقبل حركة فتح، وعن مستقبل القضية الفلسطينية كلها، باعتبار فتح أحد أهم فصائل الحركة الوطنية الفلسطينية على الأقل من الناحية التاريخية .

تأسست حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) في شهر أكتوبر عام ١٩٥٧ إثر العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ، وظلت الحركة تعمل سراً حتى عام ١٩٦٥ حين أذيع أن ياسر عرفات هو الناطق الرسمي للحركة .

هذا وقد بدأت بذرة التأسيس الأولي في الكويت على يد كل من ياسر عرفات (أبو عمار) وخليل الوزير (أبو جهاد) ، وعادل عبد الكريم، ويوسف عميرة .

ومنذ عام ١٩٥٧ بدأت الحركة تجميع الكوادر في مختلف الدول العربية وفلسطين المحتلة .

وتم اعتماد المبادئ لتكون مبادئ للحركة مثل تحرير كامل التراب الفلسطيني، واعتبار الكفاح المسلح هو الأسلوب الصحيح لتحرير فلسطين، والاستقلال عن أي نظام عربي أو دولي .

وقد صدر البيان الأول لحركة فتح في بداية عام ١٩٦٥ حاملا اسم (العاصفة) الجناح العسكري للحركة، وبدأت الحركة تنفذ بعض العمليات الفدائية ضد إسرائيل في نهاية ١٩٦٦ ، ثم ١٩٦٧ ، وازداد هذا النشاط بعد هزيمة ١٩٦٧ ، على اعتبار أنه البديل لهزيمة الجيوش العربية .

كما بدأ تغلغل حركة فتح داخل منظمة التحرير حتى تحت الإطاحة بالسيد أحمد الشقيري من رئاسة منظمة التحرير، وتزامن ذلك مع تنفيذ حركة فتح عدد من العمليات العسكرية الفدائية المتميزة .

وصلت إلى ذروتها عام ١٩٦٨ حيث نجحت في الصمود أمام الجيش الصهيوني في معركة الكرامة في الأردن في ١٧ مارس عام ١٩٦٨

وبدأت فتح تصبح التنظيم الأهم في منظمة التحرير، وأصبح ياسر عرفات رئيساً لمنظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٨ ، ومع استمرار الكفاح المسلح لفتح ضد إسرائيل ثم المعارك مع الجيش الأردني .

ثم في لبنان والدخول في الحرب الأهلية كانت فتح تنتقل من مكان إلى مكان

حتى خرجت من بيروت عام ١٩٨٢ إلى تونس ثم وصولا إلى اتفاقية أوسلو، ثم تشكيل السلطة الوطنية الفلسطينية عام ١٩٩٤

ومنذ ذلك الحين حدثت الإشكالية المعروفة في فتح لكونها تجمع بين نقيضين هما أنها حركة تحرير وطني ثم هي سلطة تحت الاحتلال، فكيف تقاوم الاحتلال، وتعمل كسلطة بالتنسيق معه في الوقت نفسه .

ولعل هذا التناقض كان دائمًا في خلفية الصورة منذ أوسلو وحتى الآن .

وظل هذا التناقض يفسر تناقضات داخل حركة فتح إلى أن جاء المؤتمر الأخير الذي انعقد في بيت لحم، لينتصر للاتجاه الأول الذي يقول إنها سلطة فقط، وتمت الإطاحة بكل غير الموافقين المؤثرين على عملية التسوية وخيار التفاوض والسلام مع إسرائيل بأي ثمن .

ولكن المفارقة أن هذا الخيار حسم أمره في فتح في وقت تتصلب فيه المواقف الإسرائيلية باتجاه عدم التنازل عن القدس، وتأكيد يهوديتها، بل وتنفيذ عدد من أعمال الحفر والزحف بهدف هدم المسجد الأقصى، وإعلان حكومة نتنياهو أن القدس خارج المفاوضات، وأنه لا تفكيك لأي مستوطنة تم بناؤها، ولا حديث عن حق العودة للاجئين .

وانقسام الواقع الفلسطيني بين حماس التي سيطرت على غزة، وفتح التي تسيطر على الضفة الغربية تحت سلطة الجيش الصهيوني .

وبالطبع لا يعنينا الكلام الإنشائي الذي جاء في مقررات المؤتمر أو انتخاب بعض المناضلين أمثال مروان البرغوثي، فهي من نوع ذرّ الرماد في العيون أو إطلاق قنابل الدخان للتغطية على العملية السيئة التي تحولت فتح بها رسميًا من حركة تحرير وطني إلى حزب ملحق بالسلطة، والغريب أنها سلطة وهمية؛ لأنها سلطة تحت الاحتلال المباشر .

ولعل قراءة ما قبل المؤتمر، ثم أحداث المؤتمر، وما تمخض عنه من نتائج في الانتخابات، وغيرها يؤكد هذه الحقيقة المؤسفة، ولو كان في قيادة السلطة أو فتح من يمتلك خيالا أو إخلاصا كافيًا، ووعيا بالقضية لكان قد حافظ على كيان فتح (المناضل) .

بدأ المؤتمر بدون أوراق عمل، ولا تقارير عن حالة الحركة، أو تقييم لإنجازاتها في العشرين عاما المنصرفة، والذي لم ينعقد خلالها مؤتمر فتح، وكان هذا بمثابة كفر أول القصيدة، فليس هناك حركة تهدد وتقيم عشرين عامًا كاملة، وتكتفي ببيان الرئيس !!

ثم إن انعقاد المؤتمر في بيت لحم أي تحت سلطة الاحتلال سبقه بالطبع تفاهمات مع الاحتلال الإسرائيلي على دخول الأعضاء، وخروجهم، وبعضهم مطلوب للقضاء الإسرائيلي !..

وهذا معناه أن لإسرائيل مصلحة في انعقاد المؤتمر بهذه الطريقة، ثم الطريقة التي تم بها تحديد الأعضاء الذين يحق لهم حضور المؤتمر، ومن ثم عقد صفقات تحت المائدة بهذا الصدد .

وكان يستهدف تكريس سلطة عباس وسلطة الداعين إلى السلام مع إسرائيل أو الباحثين عن هذا الوهم والمتشددين ضد حماس في الوقت نفسه، ومن ثم تحويل الحركة من حركة تحرير وطني إلى مجرد حزب تابع لسلطة وهمية .

خواطر مسلم

علينا أن نتصور وضع من جاء إلى المؤتمر من خارج فلسطين، ومروره على حواجز الاحتلال فهذا الشخص هل يمكنه أن يتحدث جديًا عن المقاومة أو النضال أو الكفاح، وبالإضافة إلى ذلك هناك شرفة عباس داخل المؤتمر القادرة على ضرب البعض أو طردهم من قاعات المؤتمر إذا ما تجاوزوا الخطوط الحمراء .

كان كل شيء معداً سلفًا . مقابل الدخان، والقرارات الشكلية، بل والتغطية والتسهيلات الدولية والعربية والإسرائيلية، بل وافتعال مشكلة - وللأسف حماس تورطت فيها - حول خروج أعضاء فتح في غزة إلى بيت لحم .

ومن المعروف أن حماس رفضت ذلك، واشترطت مقابله أن تفرج السلطة عن المعتقلين من حماس في الضفة الغربية، وهم يزيدون عن الألف، وهذا حق طبيعي لحماس .

ولكن محمود عباس ورجاله لا يهمهم حضور عناصر فتح من غزة أو عدم حضورهم؛ لأن هذا القرار بيد السيد والتون، ومن معه من الأمريكيين والإسرائيليين، والعملاء الذين يريدون الملف الأمني في الضفة الغربية .

وبالطبع فإن الذين سرقوا قرار فتح، والذين حولوها من حركة تحرير وطني إلى حزب تابع للسلطة تحت السيطرة الإسرائيلية، وهؤلاء فرحوا بقرار حماس بعدم السماح لأعضاء فتح من غزة لحضور المؤتمر؛ ليثيروا ضجة، ويدعون إلى وحدة فتح في مواجهة حماس، وهو كلام حق يراد به باطل .

ثم يهاجمون حماس بسبب تعطيل مؤتمرات فتح، ويعطون ذريعة جديدة لإسرائيل لمحاولة أخري لتصفية حماس في غزة أو لمزيد المعاناة، والخراب لأهالي غزة .

ومحصلة المؤتمر هو نهاية فتح المقاومة، وفتح الباب لعدوان إسرائيلي جديد ضد حماس في غزة، ولا يمكنها في تلك الحالة أن تطلب دعمًا من الفتحاويين في غزة؛ لأنها عاملتهم كفتحاويين أولا وأخيرا، وليس كمواطنين في غزة أولاً وفتحاويين ثانيًا .

ومن ثمّ فإن على حماس أن تنجو من المعركة وحدها ، وليس بكل أهل غزة بمن فيهم الفتحاويين، كما حدث في الغزو الإسرائيلي السابق لغزة، والذي كان أحد أسباب فشله هو وحدة كل أهالي غزة ضد العدوان بلا استثناء.

السلبيات والإيجابيات في مسألة مشاركة الإسلاميين في السلطة

بداية فإن فكرة المشاركة في السلطة من قبل أي جماعة سياسية أو اجتماعية أو من أي لون وطيف هي فكرة طبيعية ومشروعة، وكذا فإن هدف الوصول إلى السلطة في حد ذاته ليس هدفاً مجرداً بل هو مشروع ومقبول والحرص عليه ليس عيباً على الإطلاق وبالتالي فإن وصول الإسلاميين إلى السلطة أو مشاركتهم فيها هو أمر طبيعي بل أكثر من طبيعي، واستهدافهم لذلك لا يعيبهم بل إن حرمانهم من الوصول إلى السلطة بوسائل متعددة منذ نشأة تلك الحركات كان جريمة ضد الشرعية وضد رغبة الناس وضد مبادئ القانون - أي قانون .. وبالنسبة لي، فإنني أعتبر التيار الإسلامي في بلادنا العربية هو الأكثر تعبيراً عن وجدان الناس وعن مصالحهم

دون أن يكون له الحق في أن يحتكر الإسلام طبعاً أو يقصره على نفسه، ومن هنا فإن وصوله إلى السلطة هو هدف نبيل .وأعتقد أن الحركات الإسلامية هي الامتداد الطبيعي لحركة التحرر الوطني ضد الاستعمار، والتي كانت إسلامية الجوهر والسلوك تماماً منذ عمر مكرم وجمال الدين الأفغاني والنديم ومصطفى كامل ومحمد فريد وعبد الكريم الخطابي وعبد القادر الجزائري وعمر المختار وعز الدين القسام وحسن البنا ... الخ، ومن ثم فهي استجابة طبيعية لمواجهة الاستبداد ، وطريقاً للنهوض السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، وتجاوز حالة التخلف وتحقيق الحرية والتحرر والعدل الاجتماعي .

وهي بحكم تكوينها وبحكم وجدان الناس صاحبة البرنامج الأكثر قبولاً والأكثر قدرة بالتالي على مواجهة التحديات .

ولكن فكرة المشاركة في السلطة أو الوصول إلى السلطة ليست غاية في حد ذاتها بل هي إحدى آليات تحقيق برنامج النهوض الشعبي الإسلامي المنشود، وبالتالي فهي مرتبطة بمجموعة العوامل الداخلية والإقليمية والدولية في زمن معين، وهكذا فإن طرح هذه المسائل في الوقت الراهن يقتضي بالضرورة تحليل مجموعة هذه العوامل المرتبطة بالموضوع.

طريق مسدود

على المستوى الداخلي فإن أوضاعنا العامة وصلت إلى حالة من التأزم المزمن في الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، ومحاولات النهضة ومشروعات التحرر كلها تقريباً وصلت إلى طريق مسدود ، وفشلت فشلاً ذريعاً في تحقيق أهدافها ، وتحولت بدورها إلى عبء كبير على كاهل الناس والأمة، وعلى مستوى التحديات الخارجية المحيطة "الاستعمار - الصهيونية - التبعية" كان الفشل ذاته هو سيد الموقف .

وإذا كانت الليبرالية قد سقطت منذ عام ١٩٤٨ ، والاشتراكية عام ١٩٦٧ ، والحكم العسكري عموماً سقط ولا يزال ، وكذا تجارب العلاقات مع أمريكا وقبلها الاتحاد السوفيتي ... إلخ ؛ فإن هذا يبرر بحث الناس عن الطريق الإسلامي كحل لم يعد هناك بديل عنه .. وهذا يرجح ويزكي فكرة مشاركة الإسلاميين في السلطة أو حتى الحكم منفردين.

ولكن الأمر ليس بهذه البساطة، فالسماح للإسلاميين بالمشاركة في السلطة أو الوصول إليها - وهو الأمر الذي ترفضه القوى الدولية والإقليمية والمحلية النافذة حتى الآن ، هذا السماح ليس بريء المقصد ولا حباً في حل المشكلة ولا إيماناً مفاجئاً بحق القوى السياسية في الوصول إلى السلطة، إنه في رأيي مجرد فخ على أساس أن مشاركة الإسلاميين في السلطة مع وضع ضمانات معينة تجعلهم غير قادرين على تنفيذ برامجهم الحقيقية هو نوع من التوريط لهم وإضعاف موقفهم الجماهيري ومن ثم تحويلهم إلى شيء آخر غير إسلامي "يمين محافظ أو غير محافظ مثلاً في إطار علماني" .. وفي نفس الوقت فإنهم وحدهم القادرون على تهدئة الشارع العربي والإسلامي المنفلت، والذي تزيده حالات الاستفزاز الديني والقومي والوطني الذي تقوم به الولايات المتحدة وإسرائيل في المنطقة ومن

ثم يمكنه التحول إلى نوع من المقاومة غير المؤطرة .

وهي خطر شديد على الاحتلال الصهيوني الأمريكي ، وهكذا فالهدف من السماح للإسلاميين بالوصول إلى السلطة في ذلك الوقت هو نزع فتيل هذا الخطر - وبالتالي فالقبول بتلك المهمة هو أمر خطأ وخطر ولا يمكننا بالطبع أن نعمل مانعة صواعق لصالح الأمريكان .النقطة الهامة التي ينبغي أن نأخذها في اعتبارنا هنا هي أن العالم أصبح شديد التداخل، وهناك عولمة اقتصادية متوحشة لا تسمح بسهولة بتحقيق أي نوع من التنمية المستقلة وبالتالي عدم القدرة على تحقيق برنامج اقتصادي حقيقي لصالح عموم الناس، وهناك انفراد أمريكي بالقوة في العالم، ومن ثم فإن أي حكومة وطنية مهما كان برنامجها، ومهما كانت كفاءة رجالها وعناصرها غير قادرة على المناورة ، وسوف تخضع في المحصلة لهذا العامل الصعب "العولمة - هيمنة أمريكا على العالم"، ومع الأخذ في الاعتبار أننا أمة في حالة هزيمة تكنولوجية، وأن الفجوة التكنولوجية لا يمكن سدها بوسائل تقليدية أو بوسائل مستمدة من نفس طريقة التفكير الغربية في التنمية ، لأدركنا على الفور أن المشاركة في السلطة قد لا تحقق الكثير مما يتوقعه الناس، وفي الوقت نفسه قد تحدث نوعا من الانصراف الجماهيري عن المشروع الإسلامي وإحداث نوع من الشوشرة على منطلقاته النظرية .

رأس حربة ضد المشروع الأمريكي

والأفضل طبعاً أن تتحول الحركات الإسلامية إلى نوع من حركات التحرر الوطني - في المعارضة - تكون رأس حربة ضد المشروع الأمريكي الصهيوني، وتفرز وسائل وأطر لتحقيق هذه المقاومة ضد الاحتلال الأمريكي والصهيوني وأن تشارك بقوة في عملية مقاومة العولمة في مفهومها الاستئصالي للآخر ، وأن تقدم الإسلام كبديل في مواجهة المشروع الإمبراطوري الرأسمالي الإمبريالي، وأن تتحول الحركات الإسلامية بالتالي إلى طليعة لهذه الحركة العالمية وأحد أهم قواها الثورية . وهذا بالطبع يقتضي إعادة هيكلة الحركة وإعادة بناء مستوياتها النظرية والفكرية، هذا من حيث العموم، ومن حيث الخصوص، فإن الحركة الإسلامية في مصر لا يمكنها بالطبع تجاهل هذه النقطة أو السكوت عنها وإلا فقدت مصداقيتها التاريخية، وبديهي أن السماح بمشاركة الإسلاميين في السلطة في تلك الدول لن يكون معتبرا ولا مسموحاً به أمريكياً ما لم يكن هناك ضمان علني أو سري لقبول تلك الحركات بمشروعية إسرائيل حتى ولو في إطار قرار ٢٤٢ مثلاً، مع عدم السماح لها طبعاً بالتصدي للقمع الإسرائيلي أو المطالبة بالانسحاب إلى أراضي ١٩٦٧ إلخ ... وهو أمر غير أخلاقي طبعاً، لأن عدم الاعتراف بمشروعية دولة إسرائيل هو أحد أهم أسس قيام وانتشار الحركة الإسلامية في مصر وفي غيرها من الأقطار العربية والإسلامية .

لماذا تأخرنا
وما السبيل إلى النهضة ؟؟

سننسى، أو نتناسى أن القرآن يدعو إلى العلم، بل يعتبره فريضة إسلامية، وأن العلم تراث إنساني وليس اختراعًا غربيًا، وأنه لم يحدث أبداً أن اضطهد أحد المسلمين في أي حقبة زمنية من مسيرة الحضارة الإسلامية لرأي علمي كما حدث في الصراع بين العلم والكنيسة في الغرب .

سننسى، أو نتناسى أن الدعوة إلى العلم هي بالتحديد دعوة أصحاب المشروع الإسلامي للنهضة، فمحمد كرد علي وشكيب أرسلان والأفغاني وغيرهم دعوا إلى العلم واعتبروه طريق المسلمين إلى النهضة، ويرصد د. برهان غليون هذه الحقيقة قائلاً : "لقد أصبح البرهان على عدم التعارض بين الإسلام كتراث ودين وبين التقدم كقانون للحضارة ونموذج غربي هو في الواقع محور عمل رجال النهضة من الإسلاميين، فمنهم من سعى إلى أن يبين كيف كان الإسلام يحث على التضحية والعمل والجهاد، ومنهم من بين كيف كان الإسلام يحث على العلم والأخذ بالعقل ونبذ التقليد والأعراف السيئة والخرافة، ومنهم من بين تعلقه بالحرية، بل بالسلطة المدنية، ومنهم من أبرز تشجعيه للصنائع .... إلخ...".

سننسى كل هذا ونقول للعلمانيين إن المعاهد والجامعات العربية لا تستمد مفاهيمها

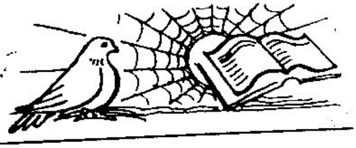

ولا طرق تعليمها لا من القرآن ولا من اللغة ولا من التراث، بل كلها تأخذ النموذج العلمي والتعليمي الغربي ومع ذلك لم يحدث نهضة ولا أخذنا بأسباب العلم .

ونقول لهم إن الدارسين العرب الذين تتشكل بالطبع ثقافتهم من الإسلام والثقافة الإسلامية، هم أنفسهم الذين تفوقوا في العلوم في جامعات الغرب، بل وأصبحوا العمود الفقري للنهضة العلمية الغربية المعاصرة، فلماذا تفوقوا وأسهموا رغم ثقافتهم الإسلامية .

المسألة إذن لا علاقة لها بالذات ولا بالثقافة العربية بل السبب في تخلفنا هو أنكم تحكموننا، وأنكم بأسلوبكم الاستبدادي والانفصامي مزقتم الذات العربية وأفقدتم المجتمع القدرة على تجديد نفسه من الداخل وشوهتم الهوية فلم يعد هناك الوعاء الصحيح والذات السوية القادرة على الانتفاع وتطوير المجتمع من خلال اكتساب العلوم العصرية .

إنه لا نهضة ولا علم ولا تقدم بدون إطار مجتمعي له فاعلياته الثقافية والحضارية أي له شخصيته، وإذا انفصمت هذه الشخصية، ضاعت كل المحاولات للتقدم أي إن الشخصية الثقافية لنا هنا ليست متناقضة مع العلم، أو التقدم، أو النهضة بل هي شرط لها، وهل هناك بناء بغير قواعد، أو شجرة بغير جذور ودائمًا العلم والتقنية ليست بضاعة معروضة في فاترينة نذهب لنشتريها، بل هي تفاعل الذات وإيجابيتها ومحاولتها للحصول على ما يجددها ويطورها ويزيدها غنى، لا من يدمرها ويشوهها ويمسخها .

د. محمد مورو

الإسلام الصوفى - ٢

الترويج الغربي لكيان معين يكاد يكون مصطنع اصطناعاً ويدعي الإسلام الصوفي هو ترويج إعلامي وسياسي موجه بالمقام الأول والعاجل والمباشر إلى خدمة عملية الاندماج للمسلمين في أوروبا ولاسيما أوروبا الغربية وهي عملية لا تعني الاندماج في المجتمعات هناك، بمعنى الاندماج المعروف في التجربة الأمريكية مثلاً حيث يحفظ الطرف المدمج وهو المجموعة العرقية أو الثقافية أو العرقية لهويته وكيانه، بل هو أقرب إلى التذويب والإلحاق من موقع التبعية والذيلية للكيان المدمج داخل الكيان الأكبر الذى يندمج فيه ..

والتصور الذي يصفه الغرب لهذا الإسلام الصوفي على أنه مجرد كيان روحي هلامي ليس له تميز خاص في المجال الاجتماعي، وليس له هوية سياسية أو فكرية، بل ليس له اتصال دنيوي بأشكال مادية متحققة من النظم أو المؤسسات - هو التصور الأمثل لتحقيق عملية الاندماج أو التذويب هذه .

لكن طرح مفهوم أو كيان الإسلام الصوفي بهذه الأهمية والإلحاح وطرحه على مستوى ومجال أوسع من مجرد المسرح الأوروبي، بل والترويج له داخل الطبقات الإسلامية ذاتها وبالتحديد البلدان الإسلامية غير العربية يشير

د. محمد يحيى

إلى عوامل وأهداف أوسع من مسألة التذويب للأقليات المسلمة في بلدان أوروبا الغربية. وهذا السياق والهدف الأوسع هو دمج وإدخال العالم الإسلامي بأسره وليس فقط الجاليات الإسلامية المهاجرة في نطاق العولمة والنظام العالمي الذي هو مجرد غطاء فكري للسيطرة الغربية الكاملة - وليس فقط العسكرية أو السياسية أو الاقتصادية - على العالم بأسره، فإذا كانت عمليات نشر العلمانية بالحديد والنار وسلطة الأنظمة الدكتاتورية هي الأدوات الأشهر والأكثر بروزاً في عملية إخضاع عالم الإسلام لنظام العولمة وهيمنة الغرب الشاملة .

وإذا كانت عمليات التغريب على المستويات الاجتماعية والفكرية والثقافية المختلفة وعلى كل الأصعدة هي من الأدوات القديمة والمتجددة للغرب في إخضاع العالم الإسلامي للنظام الاستعماري سابقاً وللنظام العولمي حالياً فإن طرح مفهوم وكيان الإسلام الصوفي المفتعل والوهمي وغير ذي الصلة بالمفاهيم والممارسات والتاريخ الأصيل للصوفية في الإسلام - أيا كان الموقف النقدي منها - هو إحدى الإدوات المستجدة لإكمال ودفع عملية إخضاع العالم الإسلامي لنظام العولمة بقيادة أمريكا وأوروبا الغربية .

والسبب في ذلك لا يخفي فالصياغة المخصوصة لمفهوم الإسلام الصوفي حسب ما تروج له الدوائر الإسلامية والأكاديمية الغربية يؤدي في الحقيقة إلى إلغاء أية هوية أو تميز أو فكر أو تجسد مادي للإسلام، باستثناء بعض الأشكال التي يمكن وصفها بالفلولكلورية، والتي لا تنبع حتى من الإسلام نفسه بقدر ما تنبع من أحوال محلية تاريخية لها جذور قد ترجع إلى ما قبل الإسلام كما في حالة الإسلام الجاوي مثلاً .

وهذه العمومية والهلامية وعدم التحدد وفقدان الهوية المتميزة التي يراد لها أن تكون هي السمة الغالبة للإسلام في بلاده من خلال العلمنة والتغريب والحديث عن الإسلام الصوفي هو الأنسب لتسهيل دمج المسلمين وعالمهم ودينهم - أو ما تبقى منه - في نظام العولمة لاسيما أن هذا النظام لا يمانع في استيعاب الأشكال الفولكلورية والبقايا الأنثروبولوجية من الحضارات والثقافات الأخرى، حيث إنها لاتهدد كيانه، بل على

العكس يستخدمها كوقود له من ناحية أنها تضفي عليه نوعا من التنوع والتعدد المظهري الذي يخفي حقيقة الأحادية الدكتاتورية الصارمة التي يتسم بها ذلك النظام والقاضية بفرض الثقافة الغربية بكامل أبعادها وتفاصيلها بكل شمولية وانطباق. وحتى بصرف النظر عن هذا العامل الأساسي في مسألة تشجيع مايسمى بالإسلام الصوفي فإن مجرد استخدامه كأداة لتخريب الإسلام في حد ذاته هو سبب كاف لكي يجعل الغرب يبشر به.

وهكذا فالإسلام الصوفي يطرح في آسيا الوسطى مثلاً كبديل عن التيارات الإسلامية التى تحاول أن تربط بلادها الإسلامية بالعالم الإسلامى المجاور لها كما يُطرح فى تركيا فى وجه تيارات تحاول العودة إلى القرآن والتاريخ التركى الإسلامى، وتعمل على إعادة التدين التركى الإسلامى إلى مصادر تركية، ما قبل إسلامية إلى آخر القائمة .

الخصخصة - ٢

تناولت فى مقال سابق عملية اختزال مهمة تتعرض لها المصطلحات المختلفة عند تداولها فى اللغة الإعلامية الجارية والمنتشرة .. وتتمثل عملية الاختزال هذه فى إسقاط الأبعاد الحقيقية فى المصطلح وقصره على معنى فنى محدود لا يكاد يكشف عن أى بُعد آخر سوى البعد المباشر ، وهو بالفعل غير مبين .. وضربت المثل لذلك المصطلح "الخصخصة" الذى يتدوال بمفهومه المالى الاقتصادى المباشر مع الإيحاء بأن هذا المفهوم هو كل ما يحتويه ، وأنه فى مصلحة الاقتصاد والمجتمع ككل .

ورغم خطأ هذا الزعم وضرورة مناقشته ودحضه إلا أن المهم فى المسألة هو الأبعاد الأوسع للمصطلح ، وهى كما حاولت أن أشير فى مقالى السابق تتعلق بالجوانب السياسية والثقافية ، بل والاستراتيجية للدولة والإقليمية إن لم يكن بالنظام العالمى ككل .. وفى هذه الجوانب هو علاقة الخصخصة بالدولة أو نظام الحكم فى البلد الذى تجرى فيه هذه العملية .. فهى يجرى الترويج لها على أنها محاولة تحرير ديمقراطى من سيطرة الدولة على وسائل الإنتاج واحتكارها لها مما يحكم قبضتها على مقدرات المجتمع وعلى السكان لأنها تتحكم فى مجال التوظيف والرواتب والسلع والخدمات والتسعير وتوزيع الأرباح والعوائد وتخصيص وتوجيه الموارد ... إلخ . مما يتيح لها بسط الهيمنة الكاملة والدكتاتورية الشمولية الواصلة إلى حد الاستعباد على الأفراد والمجتمع .

لكن الجانب الآخر والأوسع والمستهدف من

الصورة لا يُقال عادة فى تلك الدعاية للخصخصة .. والسؤال الجوهرى هنا ذو شقين .. إذا كانت الخصخصة كعملية "مالية" اقتصادية تستهدف كسر الدولة أو كسر احتكارها بزعم تحقيق الكفاءة والتحرر الاقتصادى والاجتماعى .. فما هو أولا طابع هذه الدولة المستهدفة بالعملية ؟.. وما هو توجهها الأيديولوچى والعقائدى ؟.. ثم ما هو طابع الدولة التى ستخرج بعد عملية الخصخصة وكيف ستكون أيديولوچيتها ومواقفها الفكرية وسياساتها تجاه الشعب ؟.. وأهدافها وأهم من كل شئ آخر .. من هى النخب التى سوف تسيطر عليها ؟.. وعند محاولة الإجابة على هذا السؤال بشقيه وبصرف النظر عن زيف ودجل وبهرجة الدعاية لفكرة الخصخصة فإن الاحتمالات المطروحة سوف تواجهنا بالمفاجآت .. فإذا كانت الدولة المستهدفة تنتهج أيديولوچية تزعم الدفاع عن الهوية القومية والتاريخية للشعب وترفع لواء الشعب (راجع تعرضنا لمصطلح الشعبوية) وبصرف النظر عن حقيقة وواقع وممارسة تلك الإيديولوجية .. وإذا كانت تلك الدولة بجانب ذلك لا تتخذ موقفاً معادياً صراحة كما هى الحال فى معظم البلدان العربية .. ومرة أخرى وبصرف النظر عن العداء للدين الذى تكنه وتمارسه بعض النخب ذات النفوذ فى تلك الدول فإن البعد السياسى للخصخصة ينطوى هنا على استغلال خبيث بفشل هذه الدولة فى تحقيق الأيديولوجية المعلنة أو النفاق البادى فيها لترويج تلك السياسة ذات البعد الذى يزعم له أنه فنى مالى بحت بهدف إسقاط وتفكيك تلك الدولة ، ليس لعقابها على فشلها أو لمحاولة إصلاحه ، بل بهدف إسقاط الأيديولوجية الأصلية سواء أكانت قومية أو حتى ذات دلالات أو إيحاءات إسلامية ولو من باب التاريخ ، وذلك فى إطار عملية العولمة وتحقيق سيطرة الغرب وقطبه الأوحد على بلدان الدول العربية .

وأبرز ما تتضمنه هذه العملية هو استعباد وإخضاع الشعوب وهو ما لم يتحقق إلا بتفكيك أبنية السلطات القائمة فيها باستغلال فسادها وطغيانها لإفساح الطريق أمام سلطات جديدة حتى تقل عنها ، بل تزيد فساداً وطغياناً ، لكنها تؤدى المهمة المطلوبة وهى إسقاط الأيديولوجية القومية أو حتى الإسلامية التى كانت لها بقايا فى ثنايا الدولة الراحلة وتعلن مكانها أيديولوجية جديدة علمانية تغريبية ثابتة واضحة حتى ولو تسترت وراء دعاوى الليبرالية والديمقراطية .. وبهذا يتحقق البعد السياسى والثقافى الأوسع للخصخصة .

د. محمد يحيى

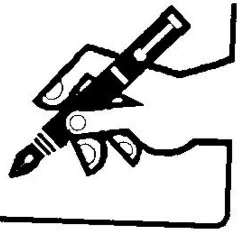

مغامرات غيور

م. محمد أنور رياض

الجائزة المسمومة !!

وكأن فمه فوهة مدفع رشاش يطلقه في هياج عاصف

– تسمع في الشوارع سبا للدين من الصيع الجاهلين

ونسمع في الفضائيات "سبا للدين من العلمانيين" ... في سب الدين لا فرق بين صايع وعلماني ..

ولا أدري ما الذي يمنع أي علماني (منفلت) أن يعلن الخلع من هذا الدين (المتخلف) الذي لا يقنعه ....؟؟؟؟

وما الذي (يزنقه) وهو الداعية لممارسة الحرية ـ حتي الشذوذ ـ علي الانتساب لدين لا يحترم نصوصه ... ويهدم (أساسياته) ... وبلاش (الثوابت) التي تسبب الأرتكاريا ..

حاول مقاطعته ..

– ما هو الموضوع ..؟؟؟

التفت إليه بوجه محتقن...

– هل تستطيع أن تفسر لي ما الذي يمنع أحدهم ـ بعد أن تجرأ علي الله الذي هو أحق أن يخجل منه و يخشاه ـ أن يعلن عن نفسه بأنه الباحث الدكتور ـ ولن نسأل إن كانت شهادته مضروبة أو حصل عليها من أي مزبلة فكرية ـ وليدعي أيضا بأنه (الفلسيوف) المفكر (الاستراتيجي) ابن بارم ديله ... وينشر علي الملأ عنوانه الالكتروني الجديد ـ بعد التعديل ـ الذي أصبح

(KAFER. COM)...!!!!

محاولا تهدأته

– صلي علي النبي ... صلي علي النبي واهدأ وفهمني

استمر غير متحكم في ثورته ..

– أنا لا يعنيني أن يعلن إنسان أنه قد خرج من الملة {وقال موسي إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد} ... (ابراهيم : ٨) .... علي كيفه .... وبدون قسم ... ـ وليس لأحد علي يمين ـ أعلن أنني سأقود حملة بالتعاون مع جماعات التمويل المشبوه لتنظيم احتفال سنوي ...

توزع فيه الجوائز التي ستخصص كأسا لأحسن منافق .. وميدالية المركز الأول في الفسق ... وشهادات تقدير للرواد في أعمال الفجور ... وهناك فوق ذلك كله.... الدرع العام للفائز في دوري المنكر ... وحتي لا يتهمني أحد بأنني أقوم بهذا النشاط لأغراض شخصية أو أنني أغازل القوي الصهيونية العالمية... فإنني أبادر وأعلن علي الملأ .... وليخطر (الغائب منكم الحاضر) أنني غير مرشح لأي منصب في اليونسكو ...

– واحده ... واحده يا عم ... ما الداعي لهذه الثورة ...

هدأ قليلا ..

ـ هذا الهجوم الذي لا يهدأ علي الإسلام ..

قال في هدوء ..

ـ وما الجديد ؟؟؟... أليس نفس الكلام المستهلك مثل اللبانه المتعفنة أو (العلكة) تلوكها أفواه الخمورجية والمساطيل ممن طمس الله علي قلوبهم يبحثون عن الشهرة والسبوبة ... لقدتحدثنا في هذا الموضوع من قبل ووجدنا أن الأفضل تجاهل ما يقولون ونسأل الله أن يرد كيدهم في نحورهم ..

هز رأسه موافقا ..

ـ نعم ... فالله جعل الكفر خيارا ... والإيمان اختيارا ... وكل واحد معلق من عرقوبه فهذا شأنه ... والباب يفوت جمل ولكن ... ليفعل ذلك دون أن يسفه اعتقاد الآخرين .... أقول لك – يا شيخ – لكم تمنيت يائسا لو أن المنافقين كلهم ـ في لحظة جدعنة دخيلة ـ أعلنوا الفصال والخلع ويظهروا وجههم الحقيقي ... لأن استمرار وجودهم بيننا هو مثلما يقول القرآن (لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا و لأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم) ...

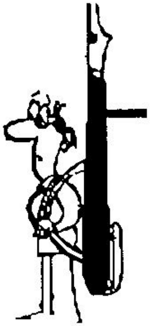

– أراح كسفه علي كتفه مطمئنا ...

ـــ يا عم ... السماعون لهم في انحسار ... ولا تقلق فقد أصاب الناس الملل من العك العلماني في إثارة الزعابيب عن الحجاب و حقوق المرأة المهدرة ... وانفض مولد الكلام عن الختان ... وانتهت صلاحية العبارات عن عذاب القبر .... وفشل مهرجان تحديث الخطاب الديني ... وإفلاسهم الرسمي لم يعد في حاجة إلي إعلان ....

زفر في حرارة ... ثم قال في غيظ ..

ـ يا مولانا اليأس ليس من شيم الشياطين ... وعلي العكس فإن هناك من يدفع باتجاه التصعيد وتوسيع ساحة المواجهة ..

نظر إليه مستفسرا ...

قال موضحا ...

– أنا وأنت نعرف أن هناك حربا لم تهدأ لتشويه المشروع الإسلامي وحصاره لأنه يرد القوامة وحرية الاختيار للأمة ... يعني شوري بين أهلها (أو ديمو قراطية إسلامية بلغة العصر) وهو ما يهدد بقاء النظم الاستبدادية ... الأمر الذي يفسر الشراسة الأمنية التي تعرض لها الإسلاميون منذ عبد الناصر ... وهو الذي بدأ بأشعال الفتيل ليفجر أحقاد من وظفهم من الكتاب وخاصة الشيوعيين الذين سخروا كل قدراتهم لتشويه التراث وتصوير الدعوة لتطبيق الشريعة بالرجعية والتخلف وحتي تاريخة فإن الحرب استمرت متواصلة بلا

كلل أو مهادنة أو فصل بين القوات ـ علي عكس ما يحدث عادة في الحروب ـ معركة ساحتها مفتوحة تحتشد فيها قوات الإعلام من المرتزقة مسلحين بكل ما أنتجته تكنولوجيا التدليس والتلبيس ... وفي المقابل يتقاضون أجورهم مناصب وعقارات ونقدا بالدولار والشيكل ...

– هذا مفهوم ومعروف وقد قيض الله عبادا له ـ أنبتتهم ارض الدين الولادة ـ يقودون جرافات الفكر الإسلامي... اكتسحت كل هذا (الزبد) الغث إلي (جفاء) المقالب العمومية .... وكل ما يكتب الآن هو إعادة تغليف لسلع مضروبة سرعان ما يكتشف الزبون فسادها ... فما هو الجديد ؟؟؟

– الجديد أن الموقف الرسمي كان في ظاهره هو الطناش وغض الطرف عن كل من يخوض في الدين علي اعتبار أنه من الفكر والإبداع (حجة مفضوحة أي نعم ولكنها تستر العورة) .... إلا أن هناك فيما يبدو من أراد أن يزج باسم الدولة في خطوة إلي الأمام أو إلي الخلف .... وفي إطار سلسلة الانبطاحات المطلوبة للفوز بكرسي اليونسكو الذي سيفتح علي البلد (توشكا ثقافية) وفوائد عظيمة تبدأ بإصلاح خط مجاري القليوبية .... اجتمع حوالي خمسين واحد فرز أول ثقافة ... ونقاوة ... ونحن نعلم كيف يتم الفرز والنقاوة في بلدنا .... المهم اجتمعوا وانتخبوا ... حرية ونزاهة و شفافية ... اعترض عشرة والباقي قالوا آمين ... فكان أن (منحوا) جائزة الدولة التقديرية لواحد منهم ـ وعلي شاكلتهم ـ وهو الأسوأ في كل شيئ ولو أرادوا أ اختيار أسوأ منه لعجزوا .... واحد لا يملك من ملكات البحث والكتابة والعلم والثقافة إلا بمقدار ما يملكه ميكانيكي عفشجي يتصدي لإصلاح كمبيوتر سيارة حديثة ...

ـ هل تقصد صاحب الدكتوراه (التايواني) الذي قال عن حرب الرده أنها حرب قادها الصديق أبو بكر ضد شعبه وكأنه صدام حسين ... وقال عن عمر بن الخطاب أنه غزا واحتل وكأنه جنكيز خان أو نابليون وأن خالد بن الوليدالذي فتح العراق ما هو إلا سفاح دموي وهو شخصيا يفضل عليه بول برايمر الذي نصبه الأمريكان حاكما علي العراق بعد احتلاله .

ـ نعم هو صاحب هذا الكلام التافه الذي لم يقل به معتوه أو حتي أشد المستشرقين حقدا علي الإسلام ...

قال متمالكا نفسه ...

ـ المتعوس الذي يكتب التاريخ بطريقة المسلسلات التلفزيونية غاب عن وعيه المعطل وحسه الضايع أن الذين ارتدوا بعد وفاة النبي خرجوا علي اجماع الأمة ولم يكن مع أبو بكر جيشا نظاميا ورتب تؤمر فتطيع و تخضع لسلطته الاستبدادية ... وإنما كانت الجيوش من المتطوعين الذين يتحركون بإيمانهم وقناعتهم للدفاع عن عقيدتهم ودينهم ومن السذاجة والعبط اعتبارها حربا تأديبية وإنما هي أشبه بالحروب الأهلية الزاخر بها التاريخ والتي قامت للحفاظ علي وحدة البلاد ونظامها السياسي .... أما عن فتح المسلمين لبلاد الفرس والشام ومصر فقد كان في إطار الدفاع وتأمين حدود الدولة الوليدة وضمن مفهوم رسالة ربانية هي عالمية الإسلام وإنسانيته وضرورة الجهاد ضدالنظم والطواغيت التي تحول دون الناس والإيمان بربهم وهو ما أثبت انسجامه مع الفطرة

الآدميـة بعـد ذلك ـ بتـحـول الناس في هذه البلاد إلي الدين الجديد وصار منهم أعلاما زخر بهم التراث في كافـة مجالات الحياة بعكس جميع الإمبراطوريات علي مدار التاريخ التي زالت كلها لأنهاقامت علي الغزو وقهر الشعوب ... وفي عصرنا اليوم لا زالت دعوة الإسلام بعالميته تسعي نحو عالم تسود فيه العدالة ... ينال الإنسان فيه حقوقه ... وهي نفس أهداف السلف ... تتحقق الآن بأسلوب يناسب العصر وهو الإقناع والقدوة فيدخل الناس من كل جنس ولون في دين الله أفواجا ...

هز رأسه ثم قال :

ـ هذا ... قـال كـلامـا آخـر أقـرب إلي الهلوسة فـاق دس الإسـرائيليـات أهان فـيـهـا الإسـلام ورسـول الإسـلام ونفى فـيـهـا النبـوة والوحي ومنها ما ورد في كتبه حيث قدم من التأويلات والتفسيرات التاريخية المختلقة ما أراد التشكيك به في رسالة الإسلام ليوحي إلى القارئ أن رسالة الإسلام لم تكن نبوة ووحيا من السمـاء وإنما تخطيط عبـقري بشـري من الهاشميين ، وحركة سياسية قادها عبد المطلب بن هاشم جد الرسول، الذي أعد حفيده للقيادة لتكوين دولة الحزب الهاشمي؟ وأن ما حدث في بداية بزوغ الإسلام لم يكن وحيا وإنما مجرد تحرك سياسي وطموح وصراعات على السلطة وتنافس على الزعامة بين القبائل ! وأن الإسلام الذي أسسه الهاشميون - حسب قوله - وعبد المطلب بشكل أساساً ، كان مجرد حيلة عربية لتحقيق مآرب قومية وبسط السيطرة الهاشمية على قريش ومكة وتوحيد العرب في قيادة واحدة وأن فكرة التـوحيـد نبـعت من دافع سياسي بشري بدلا من تمزق القبائل بين آلهة متعددة .. وأن عبد المطلب الذي أسس بحنكته

وقـوة شخصيتـه الجناح الديني للحزب الهاشمي وكان مرجعه النموذج الإسرائيلي اليـهـودي المتمثل في الدولة التي أنشـأها النبي والملك داود ! حيث اجتمع فيها الملك والنبوة ، وأن عبد المطلب مـهـد لتنصيب حفيده "محمد" كملك ونبي على العـرب من خلال عمليات مصاهرة معتمدة على أقاويل بعض الكهان .. وأن عبد المطلب قائد الحزب الهاشمي أراد على رأس دولته العربية الجديدة قائدا ونبيـا مثل داود ، فروج "لقصة" نبوة حفيده محمد ! مستفيدا من خبرات نقلها عن يهود المدينة وأن الحفيد (محمد) وفر لنفسه الأمان المالي بالزواج من الأرملة الثرية خديجة بنت خويلد بعد أن خدع والدها وغيبـه عن الوعي بأن سقاه (الخمر) لانتزاع موافقته التي تنكر لها الوالد بمجرد استيـقاظه من تأثير الخمـر وحاول إبطال الزواج وتظاهر ضد هذا الزواج في شوارع مكة !...

قال ساخرا

ـ كيف سمحوا لعبد المطلب أن ينشئ حزبا دون موافقة صفوت الشريف ؟؟؟

بادله السخرية بأحسن منها ...

– وأين كان الأمن المركزي عندما تظاهر والد السيدة خديجة في شوارع مكة ... كان المفروض أن يضربوه بالقنابل المسيلة للدموع ويحيلوه لنيلبة أمن مكة بتهمة الإخلال بالأمن وحرق سيارة عبد المطلب ...

السخرية المرة لا تضحك ... قال

ـ الشيئ العجيب أن هذا .... يستنكر أن يرميه أحد بالكفر ويقول أنه مؤمن بالنبي محمد ..!!

قاطعه

- لو كان شجاعا لقال أن الكفر وسام علي صدره ....

- إعلان الكفر يسلبه سبوبة دور المنافق والطابور الخامس الذي يخرب خلف الخطوط .

انتظر لحظة ثم قال

ـ المهم موقف الدولة التي اقتطعت الجائزة من لحم الغلابة لمكافأة هذا التحشيش ... هل تستطيع تدريس هذه الهلفطة في حصة التاريخ علي التلاميذ ... أو توزيعه علي خطباء الجمعة في المساجد حتي يفيق المواطنون الذين انخدعوا في تاريخهم وعاشوا أكذوبة الإيمان يتوارثونها عبر تلك القرون فيهبوا وينتفضوا ويطالبوا بجلاء القوات العربية التي غزت بلادهم وينصبوا في ميدان التحرير تمثالا للمقوقس رمز الوطنية ويتكلموا هيروغليفي بدلا من العربي ...

- يا بني الدولة تايهة تعيش يوما بيوم في عشوائية لذيذة ... وهي تسوق العبط والاستهبال عندما تتعامل مع الفكر والإبداع (فتضرب) الطناش عندما يخوضون في الدين ... ماشي ومسموح والمتضرر يلجأ إلي القضاء ... و(تضرب) بالصرمة القديمة عندما يقتربون من الخط الأزرق الذي هو قبل الأحمر بخطين تلاتة ... وهنا لايوجد إلا الطوارئ وما خلف الشمس ... الدولة بلا هوية واضحة فهي لا تستطيع أن تعلن علمانيتها ـ في وضوح وقطعية الدستور التركي ـ في حين أن مواطنيها مسلمين دينا وثقافة و حضارة ... ولا تستطيع أن تكون إسلامية لأنها تفتقر ... ولا تريد .... ولا تستطيع أن تطبق مبادئ الإسلام في الحرية و العدل والمساواة .... بل تعمل علي افشال المشروع الإسلامي وإقصاء تياره وحظره .... ولذلك هي تمسك العصاية من النصف .... تترك الصيع يسبوا الدين ... ثم تتسلي بمشاهدة المشايخ في ثورتهم يستنكرون ..

قال ساخرا ..

- الحقيقة أن الدولة تمسك العصاية من طرف واحد وليس من النصف ... لأن هذا هو الشيئ الوحيد الذي يضمن بقاءها ..

قال معقبا

- وحتي هذه الضمانة مشكوك في ضمانها .....!!!!

وربما يكون من الناسب أن نتذكر قول الحق تبارك وتعالي يثبت به المؤمنين حيث تقول الآيات ..

﴿ ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضروا الله شيئا ... يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم ﴾ ....(آل عمران ١٧٦)

ويقول :

﴿ يأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا اولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾

.... (المائدة ٤١) .

م. محمد أنور رياض

رسالة لندن :

رحلة فى عقل بيجوفيتش

هل كان الإسلام سببا فى تخلف المسلمين ؟!

(٣-٣)

(١)

تناولنا فى الحلقة السابقة عرض على عزت بيجوفيتش الموجز لمجمل التقدمات العلمية الهائلة التى قام بها علماء المسلمين خلال القرون الوسطى .. التى كانت عصور ظلام وتخلف فى أوربا .. وقد رأينا حشدا من الشهود الأوربيين أنفسهم يؤكدون هذا .. إلا أن الاتجاه السائد فى التاريخ لتطور العلوم فى أوربا الحديثة يعمد إلى تجاهل تلك الحقبة من الازدهار العلمى والحضارى عند المسلمين .. فيقفز علي ما يقرب من ألف سنة إلى الوراء ليربط النهضة الأوربية الحديثة بالعلوم اليونانية القديمة مباشرة دون ذكر لفضل المسلمين القوي وتأثيرهم المباشر على النهضة العلمية فى أوربا .. وفى الوقت نفسه هناك محاولة دائمة لتقديم الإسلام كدين تطرف وجهل واستبداد ..

محمد يوسف عدس
مستشار سابق بهيئة اليونسكو

ويتساءل بيجوفيتش مستنكرا : كيف أمكن للغربيين (مع كل هذه الأدلة الدامغة على تقدم المسلمين وتأثيرهم الذى لا يمكن إنكاره على النهضة الأوربية الحديثة) أن يحافظوا على هذه الصورة الخرافية عن الإسلام والمسلمين فى العقل الغربي إلى هذا اليوم .. ثم تحدث عن الأساليب الغربية المختلفة التى تتخذ فى تثبيت هذه الصورة السلبية فى العقل الغربي ..

ومن أخبثها استخدام أسلوب مجرب في تقديم أنصاف الحقائق .. ثم بيّن لنا أن قوة تأثير هذا الأسلوب تكمن في رصد منتظم ومتقن لجميع السلبيات الظاهرة وتكرار ذكرها بصورة مستمرة، مع الصمت المُطْبق والمتعمَد عن كل المنجزات والمظاهر الإيجابية في تاريخ المسلمين وحاضرهم .. وأطلق بيجوفيتش على هذه الظاهرة اسم "مؤامرة الصمت" .. ويعني بها الصمت عن إسهامات المسلمين في ازدهار العلوم .. ثم تطرق إلى تهافت هذه المؤامرة بتأكيده على حقيقة أنه (من حيث المنطق والواقع) لا يمكن تصوّر التطور التاريخي في علم الرياضيات بدون معرفة إسهامات المسلمين في مجال هذا العلم .. ومع ذلك فقد انبرى عدد من المؤرخين الأوربيين المهرة في التزوير لتحقيق هذا الهدف المستحيل .

فعندما يعرضون لتاريخ علم الرياضيات نراهم يقفزون بكل بسهولة ووقاحة من إقليدس الذي (توفي سنة ٢٧٥قبل الميلاد) إلى بدايات علم الرياضيات في أوربا الحديثة، متجاهلين بذلك فترة من الزمن تبلغ ألف سنة من تاريخ هذا العلم .. ولن يلاحظ القارئ العادي هذه "القفزة القاتلة"، وحتى لو انتبه للخدعة فإنه لن يعبأ بها .. ذلك لأن ذهنه مسكون مسبّقا بفكرة الفراغ التاريخي المسمى "بالقرون الوسطى" .. ولا يعرف القارئ بأن عصور الظلام في القرون الوسطى لم يكن لها وجود في المناطق الإسلامية الشاسعة التي كانت تمتد من الأندلس إلى الهند .. وهكذا حاولوا أن يطمسوا من سجلات التاريخ قرونا من التطور والازدهار في علم الرياضيات عند المسلمين .

في هذه القرون الإسلامية الزاهرة اخترع عالم الرياضيات المسلم ابن أحمد رقم "الصفر" واقترح استخدامه في كتابه الشهير "مفاتيح العلوم"؛ فإذا كان علماء الرياضة في السابق قد أدركوا أهمية هذا الاكتشاف العبقري واعتبروه قفزة حقيقية في تطوّر علم الرياضيات، فإن خبراء علوم الحاسبات الآلية في عصرنا الراهن يدركون قيمة الصفر (هذا الرقم السحري) في بناء المنطق الأساسي الأولي للغة الحاسب الآلي .. وكان من المستحيل التفكير في أي تطور في هذا المجال لو كانت الأرقام الرومانية أو (اللاتينية) هي المهيمنة وحدها فهي منظومة غبية من الرموز الرقمية، هي في الحقيقة ليست أرقاما ولكنها حروف مستعارة من الكتابة اللغوية يتم بناؤها بالتكرار والتقديم والتأخير في عمليات جمع وطرح غاية في السذاجة ..

ترجم (جيرارد دي كريموني) في القرن الثاني عشر للميلاد كتاب محمد بن موسى بن شاكر "حساب الدوائر والمعادلات" إلى اللغة اللاتينية .. وظل هذا الكتاب مرجعا أساسيا في الجامعات الغربية حتى القرن السادس عشر .. ولقد عرفنا أن عمر الخيام كتب في نقد علم الهندسة الإقليدية (نسبة إلى إقليدس) .. واعتبر العلماء الأوربيون نظرية (المعادلة التكعيبية) التي وضعها هي أعلى ذروة لعلم الرياضيات في العصور الوسطى على الإطلاق .

ويُعدُّ محمد بن جابر البتاني (القرن العاشر) هو واضع علم حساب المثلثات الحديث .. والقواعد التي أرساها وقتئذ مازالت

معمولا بها إلى وقتنا الحاضر .. فمصطلحات جيب الزاوية Sine ومنحنى جيب التمام Cosine وظل الزاوية Tangent وظل التمام Cotangent .. ونظام ثلاثى التماث Trigonometric System .. كلها مصطلحات إسلامية .. أضاف إليها حسن المراكشى سنة ١٢٢٩م أول جداول النسب المثلثية (Trigonometric Ta-bles) .. وكلها كانت من وضع المسلمين العرب .. وهذا ما يؤكده ريسلر حيث يقول : "لم يكن كل ذلك من وضع اليونانيين .. بل كان من وضع العرب الذين يُعدّون بحق أساتذة الرياضيات فى عصر النهضة الغربية" .. هذا مجرد مثال بين أمثلة لا حصر لها تكاد تكون متطابقة بالنسبة للعلوم الأخرى كافة .

يعقّب على عزت بيجوفيتش بتساؤلات عميقة المعنى إذ يقول : أليس لنا الحق إذن أن نعرف وأن نحافظ على ماضينا وأن نفخر به ؟!.. ألا يجب أن نشق الطريق إليه ونفتح صفحاته ونمعن التأمل فيها ؟!.. أليس هذا هو الطريق الصحيح لكى نعلم علم اليقين من نحن ؟.. ومن أين ننحدر ؟.. وإلى أين يتعين علينا أن نستأنف مسيرتنا ؟.. ألا ينبغى لنا أن ننظر بأعيننا لنتحقق بأنفسنا (من المنظور التاريخى) كم كانت طويلة عهود التاريخ التى أسهم فيها المسلمون إسهاما فعالا ورائعا فى تقدم البشرية السياسى والعلمي والحضاري .. وكم تتضاءل أمامها عصور تخلفنا المشين ؟!

(٢)

يحدّد بيجوفيتش وضع المسلمين عند أعمق نقطة تردّى إليها العالم المسلم بخريف عام ١٩١٨م .. ويعنى بها اللحظة المأساوية التى تمثل قاع الهاوية .. فى هذه اللحظة لم تكن هناك دولة إسلامية واحدة مستقلة .. ثم يقول : "لقد انطوت هذه اللحظة فى الماضى السحيق ونأمل أن يكون قد انطوى معها ذلك الاعتقاد الذى ظل معلقا على رأس العالم المسلم زمنا طويلا (بأن كلمات "الذل والاحتقار والفقر والبؤس والجهل" متلازمة مع ذكر كلمة "الإسلام والمسلمين") ..

إننا لنرى الآن فى أنحاء العالم الإسلامى كافة علامات صحوة وانبعاث لإرادة جديدة .. ولا نشك أن ثمة شيئا ما قد تحرك .. وأن هذا الشئ الذى تحرك لا يمكن لأحد أن يوقفه أبدا !! ولكن لا ينبغى أن نخدع أنفسنا فنتصوّر أن هذه هى النهضة الحقيقية .. لا .. إنما هو وعد مؤكّد بقدوم تلك النهضة ..!! ثم يتابع بقوله : "كان السؤال المطروح فى مفتتح مقالنا هذا هو "هل الإسلام سبب تخلف الشعوب المسلمة ؟" الآن نرى أنه قد أصبح لزاما علينا أن نقلب السؤال رأسا على عقب .. إذ يحقّ لنا أن نسأل الآن بكثير من الثقة فنقول : "أليس غياب الإسلام عن الفرد والمجتمع المسلم هو السبب المباشر للتخلف الذى نتحدث عنه ؟!.. هذا هو السؤال الذى يقودنا مباشرة إلى أن نسلّط الضوء على الشرط الثانى الذى أشرنا إليه مُتضمّنًا فى هذا السؤال : هل يتبع المسلمون الإسلام حقا وفعلا ؟!.."

يتابع على عزت بيجوفيتش فى هذا الشوط من مقالته الإجابة عن هذا السؤال الخطير فيقول : إن الإسلام يطالبنا بالشجاعة ومدافعة الظلم كما نفهم من الآية التاسعة

والثلاثين من سورة الشورى : ﴿والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون﴾ .. ومن هنا نستنتج أن من يستسلم للظلم لا يتّبع الإسلام اتّباعا صحيحا، وهذا هو الذى يستنكره القرآن .. وتؤكده آلاف الأمثلة عبر التاريخ الإسلامى .. ورغم ذلك كله فإن المجتمعات المسلمة مليئة بالأذلاء والجبناء والمنافقين والمتزلّفين للحكام .. ومن أبرز الأدلة على ذلك فى تاريخنا أن الآلاف من سكان بغداد توجهوا بمنتهى الاستسلام مثل قطيع الغنم إلى سلخانات المغول !.. فهل يبقى أمامنا بعد ذلك مجال للادعاء بأنهم كانوا فى تلك اللحظة من أتباع الإسلام على وجهه الصحيح؟

(وأضيف : إن الذين يقاومون الغزو الأمريكى اليوم فى العراق وأفغانستان هم أتباع الإسلام على وجه الحقيقة .. وكذلك الذين يقاومون الاحتلال الإسرائيلى اليوم فى فلسطين وفى غزة على وجه الخصوص هم الذين يتبعون الإسلام حقا وصدقا .. أما المستسلمون فلا ...!!)

"إن الإسلام يحرم شرب الخمر ولكننا لا نكاد نجد دولة إسلامية إلا وفيها خمر تُصنع فى معاملها وتُقدَم فى فنادقها وتُشرب فى أنديتها .. مخلّفة بذلك الدمار والكوارث فى حياة الأسرة والمجتمع ... وقد جعل الإسلام الأخوة بين المسلمين فرضا .. ولكن لايزال المسلمون يختلفون ويقتتلون لصالح المستعمر الأجنبى .. وأعطى الإسلام المرأة مكانة رفيعة من الاحترام وجعل لها قدرا كبيرا من الاستقلال .. وجعلها متساوية مع الرجل فى الحقوق والواجبات فى كثير من النواحى .. ألم يكن النساء يرافقن أزواجهن فى الغزوات فى صدر الإسلام ويشجعنهم على الإقدام بالتكبير والأشعار .. كما وقع فى معركة اليرموك سنة ٦٣٤م ؟.. إن إحدى أقدم جامعات العالم وأعنى بها جامعة القيروان بمدينة فاس فى المغرب التى احتفلت عام ١٩٦٠ بمرور ألف ومائة سنة منذ تأسيسها ، هى من وقف امرأتين مسلمتين !.. وعلى نقيض ذلك نرى وضع المرأة المسلمة فى بعض الدول الإسلامية نموذجا لاستعباد المرأة وسلب حقوقها .

لقد حارب الإسلام الفقر وأكّد على المساواة بين الناس وعلى حقوق جميع المواطنين فى المسكن والمطعم والملبس .. وعلى حقهم فى وسيلة مواصلات ينتقلون بها لشئون حياتهم .. ولكننا نرى أقلية من الأثرياء وأصحاب السلطان فى بلاد المسلمين وقد سطوا على ثروة الأمة واستحوذوا على غالبية الأراضى فيها بينما ملايين الفقراء يتضورون جوعا .. وملايين الفلاحين الذين يزرعون الأرض لا يملكون شبرا من هذه الأرض التى يقومون بزراعتها !..

كانت الأحوال فى العراق قبل إعلان الإصلاحات الزراعية سنة ١٩٥٨م على هذا النحو : الإقطاعيون وعددهم حوالى ثلاثة آلاف وستمائة شخص كانو يملكون ١٨ مليون فدان من مجموع ٢٢ مليون فدان من الأراضى العراقية الصالحة للزراعة .. أى ما يعادل ٨٢٪ منها ، بينما كان مليون ونصف مليون فلاح عراقى لا يملكون شيئا على الإطلاق !.. وكانت الأوضاع فى أغلب دول المسلمين مشابهة لوضع العراق .. يقرر الإسلام مبدأ

(إنما المؤمنون إخوة) ولكننا نعلم علم اليقين أن الإقطاعي ليس أخا للفلاح .. وقرر الإسلام وجود حق للفقراء فى أموال الأغنياء ولو طبق هذا المبدأ لأدى بكل تأكيد إلى إزالة الفوارق الاجتماعية فى مجتمعات المسلمين .. ولكننا نجد فى مدن كثيرة مظاهر الثراء المفرط والفقر المدقع جنبا إلى جنب !.. فهل هذا من الإسلام فى شئ ؟!!..

ويقرر الإسلام أنه (لا يؤمن من بات شبعانَ وجاره جائع) ولكن الإحصائيات تشير إلى أن نسبة المسلمين الذين يعانون سوء التغذية تصل فى بعض الدول الإسلامية إلى ٢٠٪ من مجموع سكانها .. فى الوقت نفسه ينام "إخوانهم فى الدين" على حرير وقطيفة واستبرق من غير أن يؤرق نومهم على الأقل وخز الضمير من أجل أحوال إخوانهم ؛ أى جيرانهم !..

وضع الإسلام نظام الخلافة .. ولكن الخليفة انقلب إلى "ملك الملوك" ! فحاولوا أن تتصوروا بأى حكم يمكن أن يحكم أبو بكر وعمر بن الخطاب (رضى الله عنهما) على ورثتهما فى الخلافة من الذين يلهون فى قصورهم بـ "الحريم والخدم" خلف أسوار منيعة .. وبدلا من رفع راية جهاد الأعداء يخططون للمداهمات والقرصنة وحروب السلب والنهب .. هنا ينبِّهنا بيجوفيتش قائلا : "لا ينبغى أن يغيب عن أذهاننا تلك الحكمة التى تذهب إلى القول بأنه (كما تكونون يُوَلّى عليكم) .. فإذا تبيَّن لنا ان نظام حكم ما قد تطرق إليه الاستبدد وتمكّن منه .. وأن جميع صنوف الفساد قد عشّشت فى أركانه .. فلا بد أن نفهم أن شيئا ما قد (تعفن تعفّنا شديدا) داخل الشعب نفسه، فمن حق الشعوب الصالحة الطاهرة وحدها أن تنعم بالحكّام الصالحين .. وقد سُئِل الرسول صلى الله عليه وسلم فى سياق حديث طويل : أنهْلكُ وفينا الصالحون يارسول الله ..؟ فقال الرسول : نعم .. إذا كثر الخبث ...! ويبدو أن عقوبة الصالحين هنا سببها أنهم قصَّروا فى النصيحة .. أو تخلّفوا عن المواجهة حتى تكاثر الخبث واستشرى ...!!"

كذلك يذكرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن القضاء العادل هو الذى يضمن استرداد الحقوق لأصحابها الضعفاء من مغتصبيها الأقوياء .. وهو الذى يصون التوازن بين قوة السلطة الطاغية والمجتمع المستضعف .. وأن الحكم العام على أى نظام للقضاء هو أن هناك (قاضٍ فى الجنّة وقاضيان فى النار) .. وليس هناك شيء يمكنه مقاومة فساد الحكم وتأثيره التدميرى على الشعوب كالإيمان بالله والإحياء المتواصل للأخلاق الإسلامية الرفيعة .. لذلك يجب على الشعب أن يملك قوة الوعي ووسائل المعرفة والتمييز ليفك عن نفسه الأغلال التى تقيد حركته ويضرب على يد القاضيين اللذيْن هما من أهل النار ...!!

لقد أقام الإسلام حربا على الشرك وقضى عليه بحركة واحدة بدأت فى جزيرة العرب ثم امتدت خارجها لتشمل مناطق شاسعة فسيحة من العالم آنذاك .. ولأن الإسلام يعتبر الشرك والخرافة صنوان .. لذلك كان حاسما قاطعا فى وضع حد فاصل بين الإيمان والخرافة .. ولكن

الخرافات فى عصور متأخرة عادت لتجد لها مرتعًا خصبا فى قلوب كثير من المسلمين وبيوتهم .. خرافات اتخذت العديد من الأشكال : فظهرت فى صورة التمائم والطلاسم وقصص الجن التى تتلبس الناس .. وطغت العادات القبلية والوثنية الموروثة متشحة بعباءة الدين .. لتمهد الطريق لتجارة رابحة بهذا الدين المظلوم بجهل أهله .. ذلك لأننا لم نتنبّه إلى المبدأ الجوهري فى العلاقة التاريخية الطاردة بين الدين والخرافة .. ومنطوق هذا المبدأ على حد تعبير على عزت بيجوفيتش : "إذا لم يقض الدين على الخرافة قضت الخرافة على الدين .. "ولذلك كان النبى محمد صلى الله عليه وسلم بالغ الاهتمام بتعليم المسلمين حتى فى أيام الحرب الضروس، إذ جعل تعليم عشرة من المسلمين فدية للأسير ممن أسر من المشركين فى أول مواجهة عسكرية ناجحة .. وأعنى بها معركة بدر الكبرى" .

لم يكن من قبيل المصادفة إذن أن نجد المسلمين الأوائل يبذلون جهودا عظيمة متصلة لترجمة مكتبات كاملة من اللغتين اليونانية واللاتينية ، دونما خوف من كون هذه الكتب قد أُلفت فى إطار حضارات وثنية ، فقد كانت قاعدتهم فى ذلك هى الحديث النبوي الشريف : (الحكمة ضالة المؤمن، أينما وجدها فهو أولى بها) .. يقول بيجوفيتش: رغم علمنا بوجود هذا التوجيه النبوي الواضح ينادى أحد حكام المسلمين فى هذا العصر وباسم الإسلام ..! بوضع حدود على تعليم شعبه .. ويرفض حاكم آخر تعليم البنات باسم الدين أيضا .. وكأنه ما يريد أن يخدم الإسلام إلا بنشر الجهل بين أبنائه وبناته ؟!..

يتابع عزت بيجوفيتش فى هذا المجال تفاصيل مزرية عن أوضاع التعليم فى بلاد المسلمين حيث يقول : "إن أغلب الدول المسلمة لا تنفق على التعليم أكثر من ١٪ من ميزانياتها" وقد استقى بيجوفيتش هذه المعلومة من تقرير منظمة اليونسكو لسنة عن ١٩٦٤ عن حالة التعليم فى البلاد التى تسكنها أكثرية مسلمة .. ويضيف قائلا: "إن الدول التى تسعى بحق إلى مجرد القضاء على أمية شعوبها فى زمن معقول ومحدّد .. تخصص لهذه المهمة أضعاف هذه النسبة من دخلها الوطني، لا تقل عن خمسة أضعاف النسبة التى تخصصها الدول المسلمة للإنفاق على التعليم العام فيها .

(٣)

ينتقل بيجوفيتش ليكشف عن حقيقة إسلامية أخرى طرحها المسلمون جانبا فزاد بعدهم عن الإسلام أكثر فأكثر .. يقول : "يهدف الإسلام إلى إقامة جماعة متضامنة من خلال العبادات المفروضة .. مثل الإيمان بالله والصلاة والصوم والزكاة والحج .. ليؤكد فى قلوب المسلمين أنهم جماعة واحدة .. أمة واحدة يسعى بذمتهم أدناهم .. وهم فى رد العدوان يد واحدة على من سواهم .. أمة يتقاسم أبناؤها فيما بينهم روح الجهاد كما يتقاسمون الأفراح والأتراح، وليكون تحقيق الأخوة بين جميع الناس هدفا دائما يسعون إليه، ولكننا على النقيض من ذلك نشهد اليوم صورة تعيسة أبعد ماتكون عن روح الإسلام وتعاليمه الواضحة الصريحة .. نشاهد

اليوم أن أغلب مجتمعات الدول المسلمة مزيج مضطرب من كثرة غالبة من فقراء الفلاحين .. وقلة من الأغنيـــاء الذين يكتنزون ثروات فاحشة .. ونشاهد مجموعات من المثقفين المستغربين الغرباء عن ثقافة مجتمعاتهم الإسلامية يعيشون فيها كأنهم أجانب فى شلل معزولة عن ثقافة شعوبهم وأوطانهم !.. ومجموعة أخرى من أئمة المساجد ورجال دين أكثرهم لا يحسن فهم الدين .. وإن فعل فإنه لا يحسن تقديمه بطريقة مقنعة .. لأنه لا يحسن فهم الواقع الذى يدور من حوله بأبعاده الاجتماعية والاقتصادية والسياسية !.. إن الفلاح الجاهل الفقير يحب الإسلام (وقد لا يفهمه)، والغنى يُظهر ولاءه للأسلام نفاقا للجماهير، ويظل المثقف معاديا له أو غير مبال به .. ولقد صدق النبى (صلى الله عليه وسلم) حين قال : (إن أخوف ما أخاف على أمتى عابد جاهل وعالم فاجر)" .

نعم هناك بين المسلمين أمور كثيرة تقشعر لها القلوب والجلود .. وحتى غير المسلمين قد أدركوا ولاحظوا ذلك وسجّلوه فى كتاباتهم .. من هؤلاء (لوثروب شتودارد) إذ يقول : "لو قام محمد (صلى الله عليه وسلم) من قبره ورأى كم بدّل أتباعه دينه ، لاحمرّ وجهه غضبا ولعن كل من شارك فى تلك البدع" .. (اقرأ كتاب Lothrop Stoddard فى كتابه "حاضر العالم الإسلامى" الذى نشر غداة الحرب العالمية الثانية) ..

يقول بيجوفيتش : " تشكلت فى البرلمان الباكستانى قبل عدة سنوات لجنة خاصة لدراسة التدابيرالتى تهدف إلى علاج المجتمع من الأمراض الاجتماعية التى يعانيها شعب الباكستان وأوصت اللجنة بمحاربة الخمور وبيوت الدعارة والربا وبعض العادات الجاهلية، لأن هذه الأوبئة تفتك بالمجتمع وتعود عليه بأضرار اقتصادية وأخلاقية بالغة .. ثم نشرت وسائل الإعلام أن أصحاب بيوت الدعارة نظموا مظاهرات فى مدينة كراتشى احتجاجا على توصيات اللجنة ، مطالبين "بحرية العمل" أين !!.. فى دولة تعلن عزمها على تطبيق الشريعة الإسلامية ؟!..

هذه بعض صور من واقع الشعوب المسلمة .. قد لا تكون شاملة، ولكنها قاتمة وصادمة بما فيه الكفاية .. ويمكننا سرد الكثير من هذه المظاهر المحزنة، التى تستصرخ من ينهض ليهدمها بمعاول الإصلاح، ومع ذلك فإن المسلمين المخلصين يجدون السلوى فى إدراكهم أن الوضع القائم ليس نتيجة لتطبيق الإسلام .. بل بالعكس ، إنه نتيجة لرفضه واستبعاده من حياة المسلمين وواقعهم .. ليس نتيجة حضوره، بل نتيجة غيابه !..

إن هذه السلوى قائمة على المنطق التالي : إذا كان قد ترتب على غياب الإسلام مرحلة تعيسة طويلة من التخلف والفوضى والفساد ، فهل عودة الإسلام تعنى إشراق روح جديدة وبداية عهد زاهر فى حياة الشعوب المسلمة ؟!.. (لا حظ أن بيجوفيتش لا يطلق أبدا وصف الإسلام على الدول والشعوب التى تنتسب إلى الإسلام .. فهى فى كتاباته شعوب أو دول "مسلمة" فقط وليست "إسلامية" كما جرت العادة الخاطئه الشائعة فى أدبياتنا الإعلامية والصحفية .. ذلك لأنها

شعوب ودول لم يتحقق لها الشروط الواجبة التي تؤهّلها لهذا الاسم .. وهذا موضوع آخر يطول شرحه ..)

يقول بيجوفيتش : "كلما طرحنا هذا السؤال، نُواجَه على الفور بسؤال إعتراضي عن صلاحية الإسلام وقدرته في الزمن المعاصر على إلهام حياة الإنسان وتوجيهه في ظروف جديدة ومتغيرة !!.. إننا كثيرا ما نسمع اعتراضات من قبيل : لقد كان الإسلام (أو ربما كان) عامل تطور وربما كان ملائما للعصور القديمة التي أصبحت في حكم الماضي المندثر .. ولكننا نعيش الآن عصر الذرة .. إلى آخر هذا الكلام .. كأن ظهور (عصرالذرة) هذا قد بات حجة دامغة في الحديث عن صلاحية الإسلام للحياة أو عدم صلاحيته ....!!

يقول على عزت في تفنيد هذه التوجّهات اللاعقلانية في النقاش : "إن الحديث عن صلاحية الإسلام لعصرنا الحاضر لا يمكن إجراؤه بعمومه وإطلاقه .. ذلك لأنه قبل الحديث عن صلاحية الإسلام أو عدم صلاحيته يجب أن نتحدث أولا عن الأمور التي يأمر بها أو ينهى عنها .. ومن أمثلة ذلك أننا نتساءل ببساطة : هل نهيُ الإسلام عن شرب الخمر وأمْرُ المسلم بالحفاظ على طهارة البدن ونظافته صالح أو غير صالح لهذا العصر ؟.. أو : هل كانت أركان الإسلام خارجة أو بعيدة عن التوجه الحضاري الذي يحدد اليوم اتجاه تطور الإنسانية ؟.."

"وإذا تطرّقنا إلى أهم وأبرز ما عُرف عن الإسلام في أشهر عباداته وأثرها على حياة المسلم و حياة مجتمعه، فإن الذهن ينصرف تلقائيا إلى أوامره الخمسة المعروفة باسم "أركان الأسلام" .. فتعالوا بنا نبحث في إيجاز عن صلاحية أركان الإسلام الخمسة ومدى تواؤمهما مع هذا الذي يسمى بـ "عصر الذرة"....:

"إن أي طفل من أطفال المسلمين وكل مبتدئ في اعتناق الدين الإسلامي يعرف أن ركن الإسلام الأول هو : (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) فهل يمكننا أن نلفت نظر دعاة التنوير والمتشدقين بالحداثة والليبرالية .. وغيرها مما يملأ قاموسهم من مصطلحات وشعارات تافهة وغامضة .. هل يمكننا أن نلفت نظر هؤلاء الذين يشككون في مستقبل الدين في (عصر الذرة) بأن أعظم رائد نهضة في العصر الحديث ألبرت أينشتين Albert Einstein الذى أدخل العالم في عصر الذرة هو نفسه الذى أعلن مرارا وتكرارا أنه يؤمن بالله .. وأنه كان يرى أن إيمانه بالله لا يتعارض أبدا مع ما توصل إليه من علم الفيزياء والفلك .. رغم كل ما تعنيه هذه العلوم لحياة الأنسان .. فلننظر إذن بتمعّن فيما يراه أينشتين في هذه المسألة .. إنه يقول بلا غموض أو التباس : "إن أساس الأديان يكمن في المعرفة والشعور بأن ما لا يمكنك إدارك والإحاطة به موجود بالفعل .. وجودا يتصف بأكمل حكمة وأبهى جمال وأعظم جلال يمكن أن يصل إليه خيال الإنسان .. ولكن حواسنا الضعيفة المحدودة لا تقوى على إدراكه إلا في أبسط صورة .. لذلك فأنا متدين جدا .. إن قلبي يرتضي بقبول سرّ

الحياة الخالدة .. وبمعرفة وتخيُّل هذه الهندسة البديعة للكون .. ومن ثمّ فإننى أحاول متذلّلا ضارعا إلى الخلاّق العظيم أن يساعدنى على إدارك ولو بجزء صغير من علمه بهذا الكون .. أن أستوعب شيئا من قدرته المبدعة التى تتجلى فى كل ذرة من ذرات الطبيعة" .

يقول بيجوفيتش : "إذن ليس الدين كما يزعمون فى دراساتهم الأنثروبيولوجية خاصية من خصائص بدايات التاريخ الإنسانى .. أوسمة لازمة تدمغ عقلية الشعوب البدائية بالتخلف .. هذا التخلف الذى قضى عليه عصر العلوم الحديثة !!.. وبالمثل نقول : أن الإلحاد وإنكار الدين والألوهية ليسا بالضرورة خاصية من خصائص (عصر الذرة) .. ولا العصر الحديث كله قبل الذرة وبعدها .. لقد كان الدين والإلحاد دائما فى صراع متصل عبر جميع عصور الإنسانية منذ خلق الله الأرض حتى يرثها ..."

فى آخر شوْط من مقالته يلخص بيجوفيتش فى لمحات سريعة أركان الإسلام الأربعة الباقية ليرى القارئ إذا ماكانت تتواءم حقا أو لا تتواءم مع العصر الحديث فيقول :

"ليست الصلاة الإسلامية عبادة محضة .. إنها كانت ويجب أن تكون من جديد مدرسة للانضباط والتآخى والتضامن .. الصلاة طهارة وعمل ومشاركة .. لقد اطلع قائد جيوش الفرس الوثنية على صفوف المسلمين المتراصة أثناء أداء الصلاة قبل معركة القادسية فصاح : "هذا جيش عمر فى حصة التدريبات العسكرية" !

"والصوم (إضافة إلى كونه عبادة مفروضة) هو تربية شاقة تسعى لتحقيق أهداف متنوعة فى حياة الفرد والمجتمع .. إنه يُحيى معانىَ تربوية وصحية واجتماعية كثيرة .. لذلك لم تكن المجتمعات الإسلامية ترى فى الصوم مجرد مسألة خاصة بالفرد ، بل كانت تثور ثائرتها أمام كل مجاهرة بانتهاك حرمة هذه العبادة .. لأنها كانت ترى فى ذلك هجوما سافرا على تماسكها الداخلى الذى يبنيه الصوم .. إن الصوم تهيئة نفسية لفريضة الزكاة تعاطفا مع الفقراء ، لأن كل المسلمين يعلمون جيدا معنى الجوع، ولكن كثيرا منهم إذا لم يمارس الصوم يعيش ويموت دون أن يشعر بوطأته" !!..

"والزكاة الإسلامية ليست صدقة بل هى أشبه بضريبة ، أو إلزام بإخراج جزء من المال لصالح المحتاجين .. ومؤسسة الزكاة فى الإسلام تتضمن مقومات راسخة ليس لمحاربة الفقر فقط، بل لمحاربة البخل وشُح الأنفس أيضا .. إن الزكاة من شأنها تنمية شعور التفاهم والاحترام فى المجتمع المسلم الذى يعيش هذه الأيام فى أزمة خواء بسبب انعدام هذه القيم والمبادئ" .

"والحج أكبر تجمع معروف يشهده العالم .. وبناء على معلومات رسمية عن موسم الحج لعام ١٩٦٢م، لقد وقف فى صعيد عرفات ١,٩٤٨,١٨٥ حاج قادمين من ٦٨ دولة .. ولا يكاد المسلمون اليوم يستفيدون من الإمكانات الروحية والسياسية لهذا الملتقى الفريد من نوعه .. لأن الحج يجب أن يتحول إلى أقوى عامل لتقارب الشعوب المسلمة وتعارفها فى

زمن هذه الفرقة المحزنة .. إن الجو العام فى الحج هو المساواة .. حيث يقف ملايين الحجاج (الرجال) مرتدين ملابس واحدة .. يحركهم فكر واحد .. وقد تلاشت بينهم جميع الفوارق، وهذا مشهد لا يمكن وجوده فى أى مكان آخر فى هذا العالم .. وستظل هذه الصورة التى لا يوجد مثلها أو قريب منها .. صورة المساواة والأخوة المطلقة، ستظل حدا فاصلا بين الواقع والحلم" .

"استمع إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى خطبته الشهيرة أثناء حجة الوداع حيث يقول مودّعا أمته : (أيها الناس ، كلكم من آدم وآدم من تراب .. لا فضل لعربى على عجمى .. ولا فضل لأبيض على أسود ... إن أكرمكم عند الله أتقاكم !) ... فهل هناك أفضل مكان وأعظم لحظة من ذلك المكان وتلك اللحظة اللذين اختارهما رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليوجه هذه الكلمات العظيمة إلى

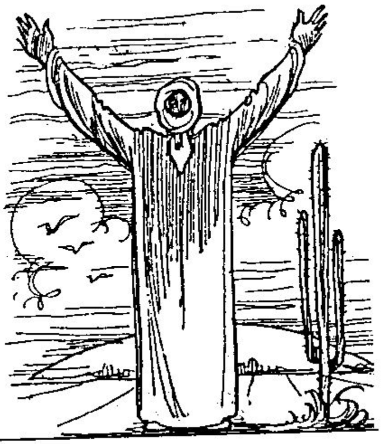

أمته ؟!.. هذه الكلمات التى هى أبسط وأخلص وأروع ما قيل فى حقوق ومساواة الإنسان .. إنها الكلمات التى مازالت غاية منشودة يتطلع إليها البشر لا فى النصف الثانى من القرن العشرين فحسب .. بل فى كل القرون وكل العصور ؟.. فليوفّرالحداثيون والليبراليون والتنويريون جهدهم فالمسلمون الحقيقيون الآن ولا فى أي عصر قادم يمكن أن يغيّروا إيمانهم الراسخ بهذه الرسالة النبوية الخالدة .. ولن يخطر ببالهم فى يوم من الأيام أن يتبنّوا مزاعمكم الكاذبة بأن هذه الرسالة قد عفا عليها الزمن .. ذلك لأن واقع الحال يقول عكس ذلك تماما : إن الشعوب بحاجة إلى هذه الرسالة اليوم بقدر ما احتاجتها بالأمس" !..

"إننا لنشهد اليوم ظهور حركة جديدة وإرادة جديدة فى بلاد العالم المسلم كلها، حالتنا اليوم هى حالة حركة وبحث .. بغض النظر عما يعتريها من عوامل الحيرة المؤقتة .. أو الانحراف والهزائم والعوارض الناجمة عن طول عهد الأزمة والركود .. إن هذه المرحلة قد تشبه كل شىء ما عدا النوم والسكون .. إن هذه الإرادة الجديدة للفكر الإسلامى سيقوى عودها .. وسوف تعززها الخيرات الطبيعية التى يزخر بها العالم المسلم .. هذه الإرادة قادرة على أن تبهر العالم من جديد بالنهضة الإسلامية فى الأيام القادمة .. وكل مسلم فى هذا العالم مطالب بأن يكون عنصرا فعّالا فى هذه النهضة" !...

محمد يوسف عدس
مستشار سابق بمنظمة اليونسكو
لندن

أ.د. حلمى القاعود

الفارس الصليبى واستئصال الإسلام

في غمرة الأحداث السيئة التي تمر بها الأمة عبر خبر مهم لم يتوقف عنده أحد، وإن كان يخصنا بصورة قوية، ويكشف ماذا يفعل عدونا لإذلالنا، واستئصال ديننا وهويتنا .

الخبر يتعلق بقضية رفعها بعض العراقيين في الولايات الأميركية المتحدة ضد شركة الخدمات الأمنية الشهيرة بلاك ووتر التي تعمل في العراق، وتقوم بمهمة الحماية والحراسة لموظفي الولايات المتحدة الذين يعملون في وزارة الخارجية الأميركية أو الجيش الأميركي، ويقومون بتوريد الأجهزة والمعدات التي تحتاجها هذه الجهة أو تلك .

كان أفراد من الشركة قد اتهموا بقتل ١٧ عراقياً من المدنيين مع التمثيل بجثثهم، وذلك بميدان النسور في بغداد بتاريخ ١٦يولية ٢٠٠٧م دون أن يقترف العراقيون المدنيون أي ذنب أو جريمة . يومها تحدثت بعض الأنباء عن المذبحة البشعة، وبعد قليل طويت أوراق المذبحة، وذهبت إلى أدراج النسيان، في ظل تراكم المذابح العراقية التي تجري للعراقيين مع مطلع كل شمس على يد الغزاة الاستعماريين الصليبيين، أو بمعرفة عملائهم المعلنين أو المستترين .

ويبدو أن بعض العراقيين ممن لم يفقدوا الأمل بعد، ما زالوا يحملون آلامهم وجراحهم ويطوفون بها العالم بحثاً عن دواء أو شفاء، لعلهم يجدونه هنا أو هناك من خلال إدانة المجرمين أو رد اعتبارهم بلغة القانون، بعد أن تعرضوا لثاني هجمة تترية وحشية في التاريخ وكانت القضية في الولايات المتحدة وسيلة من وسائل البحث عن علاج في غابة الوحشية الاستعمارية الصليبية التي سخرت القوة والإعلام والقضاء والصحافة والعملاء لخدمتها في كل مكان، والتغطية على آلام المظلومين والمضطهدين والمقهورين من المسلمين في العالم الإسلامي وخارجه .

ما يحاول بعض الناس تجاهله، أو طمسه، هو انطلاق هؤلاء القتلة في بلاك ووتر من تصور صليبي دموي أحمق لا علاقة له برسالة المسيح عليه السلام ولا أخلاقه ولا قيمه، أنهم يقومون فيما يتصورون بمهمة مقدسة لخدمة الرب تتعلق بتصفية المسلمين الكفار وقتلهم، وهي الفكرة ذاتها التي حركت جيوش الهمج الهامج في الحروب الصليبية الأولى وقادها الراهب بطرس الحافي ووصلت إلى القدس عام ١٠٩٥م، وكانت مهمتها المعلنة تخليص بيت الرب (القدس) من يد المسلمين الكفار، وتحرير مهد المسيح عليه السلام من الحكم الإسلامي !

ومع أن الصليبيين القدامى أهرقوا كثيرا من الدماء البريئة للمسلمين وغيرهم، لدرجة أنه لم يسلم من أذاهم بعض المسيحيين في بيزنطة وجنوب إيطاليا في الحملة الثالثة، حيث تعرضوا للقتل والنهب والاغتصاب باسم المسيح عليه السلام فإن بلاك ووتر يعدون أنفسهم من فرسان المعبد الذين يخدمون المسيح، والرب، ويقومون بخدمة جليلة للتقرب إليه (فرسان المعبد الدمويون المتوحشون لهم حتى الآن ؛ سفارة في القاهرة معتمدة،ولهم سفير له حصانة الدبلوماسيين، وامتيازات السفراء الآخرين، مع أن دولة فرسان المعبد جزيرة صغيرة في البحر الأبيض المتوسط تعشش فيها المافيا وعصابات الرقيق الأبيض والمخدرات !) .

قالت جريدة الأهرام في عددها الصادر بتاريخ ٧-٨-٢٠٠٩م :

فجرت محاكمة إريك برينس من مؤسسة شركة بلاك ووتر الأمريكية الخاصة للأمن مفاجآت صاعقة. فلم تقتصر الاتهامات الموجهة إليه علي القتل، وتهريب السلاح، والقتل المتعمد للمدنيين، حيث أضاف اثنان من العاملين السابقين في الشركة أن برينس قتل وسهل قتل أشخاص كانوا يتعاونون مع المحققين الفيدراليين الأمريكيين الذين كانوا يحققون في جرائم وتجاوزات الشركة. وأكدا أيضا أن برينس اعتبر نفسه فارسا صليبيا مهمته الرئيسية تخليص العالم من المسلمين والإسلام .

واتهما الشركة بتشجيع ومكافأة كل من يقتل عراقيا، وأنها تعاملت مع العراقيين بازدراء، واستخدمت ألفاظا عنصرية تحط من قدرهم. وأضاف الشاهدان أن مسئولي الشركة كانوا يعلنون أمام الجميع أنهم ذاهبون إلي العراق لقتل العراقيين، واعتبار ذلك شكلا من أشكال الترفيه .. كما أكدا أن برينس كان حريصا علي تعيين أشخاص يؤمنون بأفكاره للعمل بالعراق، حيث يؤمنون بتفوق المسيحية وينتهزون كل فرصة ممكنة لقتل العراقيين .. وكانوا يعتبرون أنفسهم فرسان المعبد المحاربين الذين يشاركون في الحملات الصليبية .

ما قالته الأهرام خطير للغاية ويعنينا بالدرجة الأولى لأنه يشير إلى نمط من التفكير أو السلوك لا يعلن عن نفسه غالبا وإن كنا نرى تطبيقاته على الأرض حية وماثلة أمام أعيننا في قتل عشرات الألوف من المسلمين في حروب واعتداءات لا تتوقف، بذرائع مختلقة وواهية، ولكن ما نسمعه عادة من المسئولين الأميركيين، والإعلام الأميركي هو كلام معسول عن الحرية والعدل وحقوق الإنسان، بينما الجيش الأميركي وبقية الجيوش الصليبية الغازية تسحق كل ما في طريقها من حجر وبشر يمت إلى عالم المسلمين، وهاهي شركة بلاك ووتر التي تعتمد عليها الخارجية الأميركية والجيش الأميركي تقدم مثالا تطبيقيا حيا، وتتحرك من خلال فلسفة صليبية صريحة، لا يخافت بها المسئولون عن الشركة أو من يعملون فيها ..

إنهم يؤمنون بتفوق المسيحية، وبرغبتهم العارمة في القضاء على الإسلام والمسلمين وتخليص العالم منهما، ثم إن المتهم إريك برينس يعد نفسه فارسا صليبيا، مما يعني أن الرجل يتحرك في إطار مهمة دينية يجب أن يكافأ عليها بدلا من تجريمه ومعاقبته .. في الوقت الذي يعمل فيه مجموعة من النخب العربية على إلغاء الجهاد وتحرير الأوطان ومقاومة الغزاة، ويعدون ذلك - مثل سادتهم الأميركان - إرهابا وتطرفا ووحشية !

لقد قامت الشركة بعمليات تهريب أسلحة إلي العراق بصورة غير قانونية عبر الطائرات الخاصة بها، وجنت أرباحا طائلة من وراء ذلك.

وقال أحد الشاهدين اللذين أدليا في المحكمة إن الأسلحة المهربة كانت توضع في صناديق أطعمة الكلاب، وغالبا ما كان يتم تهريبها لداخل العراق علي متن الطائرة الخاصة برئيس الشركة، وأن العاملين ببلاك ووتر كانوا يستخدمون قذائف ومتفجرات محظورة دوليا لتحقيق أكبر قدر ممكن من الدمار بين العراقيين، بالإضافة إلي تهرب برينس من الضرائب .. كما أشار الشاهدان إلي أن العاملين بالشركة كانوا يتفاخرون بإراقة دماء المدنيين العراقيين ويتعاطون المنشطات، ناهيك عن استغلالهم للأطفال في أنشطة الدعارة .. واتهما رئيس الشركة وكبار المديرين التنفيذيين بتدمير أشرطة فيديو ورسائل الكترونية ووثائق أخري تدينهم وأنهم تعمدوا خداع وزارة الخارجية الأمريكية والهيئات الفيدرالية الأخرى .

وهذه الشهادة التي قدمها الشاهدان تفضح الفكر الصليبي الاستعماري الوحشي الذي يحركه التعصب، ويشعله الاستعلاء العنصري في التسلي بقتل العراقيين وإهدار دمائهم عن طريق استخدام السلاح المحظور أو توريد السلاح للجهات التي لا تنتعش إلا في الشر وممارسته، ونحن مشغولون بالحديث عن الإرهاب الإسلامي !

لا أظن أن الأمة بحاجة إلى كثير من الخداع أو المكر الذي تقوم به المؤسسة الاستعمارية الصليبية، وعليها أن تحزم أمرها في مواجهة القتلة الصليبيين الغزاة الذين لا يرقبون في مسلم إلا ولا ذمة، ولا يحفظون عهدا ولا ميثاقا، ولا يراعون حرمة ولا قانونا .. وهو ما يوجب أن يتعلم المسلمون أن القوة هي الدواء الناجع الذي يردع كل من تسول له نفسه أن يكون فارسا صليبيا على حسابنا ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عد الله وعدوكم، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ﴾ .... (الأنفال : ٦٠) .

الغرب والعنصرية !

روع العالم الإسلامي بمقتل شابة مسلمة في ألمانيا صباح الأربعاء ٢٠٠٩/٧/١م اسمها مروة الشربيني داخل إحدى المحاكم الألمانية . كانت الصيدلانية مروة حاملا في الشهر الثالث، وذهبت إلى المحكمة لتقاضي شخصا ألمانيا أهانها وهي تقوم بوضع ابنها (٣ سنوات) على المرجيحة في إحدى حدائق دريسدن، ووصفها بأنها متطرفة وإرهابية وعاهرة لأنه رآها ترتدي الحجاب ! حكمت المحكمة أول الأمر بغرامة تقرب من سبعمائة يورو، وفي الاستئناف طعنها المذكور الذي يقال إنه من أصل روسي ١٨ طعنة بالسكين في قلب المحكمة أمام الناس جميعا والشرطة تتفرج، وحين هم زوجها بالدفاع عنها فإن الشرطة الألمانية أطلقت عليه الرصاص على الفور، ونقل إلى المستشفى في حالة خطرة .

الجريمة أعادت إلى الأذهان حوادث أخرى عديدة تم فيها الاعتداء على مسلمين يقيمون في أوربة والولايات المتحدة منهم أئمة وخطباء وأفراد عاديون يعملون بشرف وإخلاص في البلاد التي يقيمون فيها، وتنوعت صور الاعتداء بين قتل وحرق واضطهاد وابتزاز وحصار اجتماعي، وتخريب للمساجد والبيوت والمقابر الإسلامية، وقد اعترف الرئيس الأميركي أوباما بشيء من ذلك في خطابه بجامعة القاهرة ٤/٦/٢٠٠٩م.

ولا شك أن مقتل الشهيدة مروة بهذا الشكل البشع، والقاتل الإرهابي لا يعرفها معرفة شخصية، إلا من خلال الحجاب الذي ترتديه داخل محكمة مؤمنة تأمينا جيدا، يؤكد أن روح التعصب والعدوانية والعنصرية ضد الإسلام والمسلمين باتت تشكل ظاهرة خطيرة في الغرب الذي يتغنى ليل نهار بالتسامح وقبول الآخر والحرية إلى أقصى مدى .. وغير ذلك من شعارات صدع بها رءوسنا طويلا، انهارت مرة واحدة بمواقفه التي تخالف هذه الشعارات .. فالشرطة على سبيل المثال لا يمكن أن تقف صامتة أمام قتل مروة وتهرع لمحاولة قتل زوجها إلا إذا كان رجال الشرطة ينظرون إلى المسلمين نظرة معادية فيها من التعصب والعنصرية، ما يفسر موقفهم المشين، ثم إن الحكومة الألمانية وقد تعاملت مع الموضوع ببرود شديد يؤكد على أن هناك تيارا قويا ينظر إلى المسلمين باستخفاف شديد، فضلا عن كراهية عميقة يكنها للعالم الإسلامي وإن لم يبدها علنا ! بل إن موقف الحكومة من تقديم القاتل إلى القضاء وتوجيه تهمة بسيطة إليه يؤكد أن المسلم في منظورها لا قيمة له !

ولعل ذلك ما دفع بعض الصحف الألمانية إلى التساؤل عن عدم المبالاة من جانب الصحف والحكومة الألمانية، فقد تساءلت صحيفة دير تاجسبيجل قائلة : لماذا بقي مقتل امرأة محجبة لم تسقط ضحية جريمة شرف مجرد خبر هامشي صغير لمدة أسبوع ؟ هل يمكن أن يكون التعامل مع هذه الجريمة انعكاسا لطريقتنا في التفكير؟..

ثم إن القاتل يمثل جيلا جديدا من الشباب نشأ على كراهية الإسلام بحكم ما يسمعه ويراه في الصحف والإذاعات وشاشات التلفزة وفي التعليم العام والكنائس عن الرؤية الغربية للإسلام، وهي رؤية معادية تتسم بالتعصب والعنصرية والعدوانية والنظرة الاستعلائية، بالإضافة إلى موقف البابا بندكيت الحالي الذي وصف الإسلام بأوصاف غير مقبولة (دين شرير) في بعض خطبه التي أذيعت على نطاق واسع، وتأثر بها الغرب بأسره وعدها إعلانا بالحرب على الإسلام والمسلمين، وهو ما تمثل في الاضطهاد العنصري الذي يعانيه كثير من المسلمين المقيمين في أوربة وأميركا الآن، بل وفي القرارات التي تتخذها بعض الدول في تحريم الحجاب والنقاب، وحرمان المحجبات من الدراسة في المدارس الحكومية، والعمل في وظائف الدولة والشركات والمؤسسات :

إن روح الكراهية التي تملأ وجدان قطاعات كثيرة في أوربة وأميركا ؛ تبدو نتيجة لبعث الروح الصليبية القديمة التي تأججت بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ المريبة ! ثم إن غالبية الغربيين الآن يرون المسلم إرهابيا يتأهب للتفجير والقتل والدم، كما يرون المسلم في الغرب عالة ومصدر عناء، وسببا في انتشار البطالة والمشكلات والجريمة !

لقد كان رد الفعل ضد الجريمة النكراء، في العديد من الدول الإسلامية، وخاصة مصر غاضبا وعاصفا، وتظاهر كثيرون أمام السفارة الألمانية في القاهرة، وانطلقت دعوات تدعو

إلى مقاطعة ألمانيا اقتصاديا، وخاصة السيارات التي تصدرها إلى العالم الإسلامي : المرسيدس والفولكس والبي إم دبليو وغيرها. وهو ما دعا البروفيسور بيتر هاينه، أستاذ العلوم الإسلامية بجامعة هومبولت في برلين، إلى القول في تصريحات نشرتها صحيفة بيلد الألمانية إنه يجب أن نأخذ غضب الشعب المصري بشكل جدي للغاية، مشددا علي أن هذا الغضب حقيقي لا تنظمه أنظمة معينة .

وقال هاينه إن تصريحات نائب المتحدث باسم الحكومة الألمانية التي وصف فيها الجريمة بـ الشنيعة وإنها تسببت في حالة من الصدمة والاسي في ألمانيا، لم تكن كافية، مشيرا إلي ضرورة تدخل المستشارة أنجيلا ميركل شخصيا في الأمر .

ولا شك أن الأدبيات المعاصرة في الغرب حول الإسلام والمسلمين تشير إلى طابع التعبئة بالكراهية والتعصب والعنصرية، وخاصة من جانب رجال الدين المسيحي، والكتاب المشهورين والمستشرقين،ولعل فيما قاله القس المثقف بينام الذي يحمل درجة الماجستير في اللاهوت بالإضافة إلى شهادة في العلوم السياسية وأخرى في العلاقات الدولية، ما يؤكد على الطابع العنصري في التفكير الغربي المعاصر لدي قطاع عريض على الأقل .. يقول بينام :

"منذ رؤيا محمّد في مطلع القرن السابع، ذُبح الملايين بسبب أكذوبة الإسلام. هذا الدين الزائف، المولود من قعر الجحيم، أدى إلى لعنة دائمة حلّت بملايين البشر الذين يحبّهم الله !"

إن تصوير الإسلام بهذه الصورة المشوهة والكاذبة يجذب كثيرا من المتعصبين والعنصريين في الغرب، ويدفعهم إلى ممارسات عدوانية وشاذة .. يدفع ثمنها مسلمون بسطاء يسعون إلى الرزق أو العلم أو المعرفة .

ولا يقتصر الأمر على مجرد تشويه صورة الإسلام بل يمتد إلى التحريض السافر ضد المسلمين، ولنقرأ ما يقوله المستشرق البريطاني الأشهر برنارد لويس لصحيفة 'جيروزاليم بوست'، العبرية : 'يوشك الإسلام على التحوّل إلى القوّة المهيمنة في أوروبا، بسبب الانضباط السياسي، حيث تنازلت أوربا عن خوض معركة الرقابة الثقافية والدينية'؛ وأصبح السؤال الأهمّ حول مستقبل أوروبا هو التالي : هل ستكون أوروبا متأسلمة، أم إسلام "مُتَأورب" .. كلّ هذا في غمرة تعاظم تأييد المسلمين الأوروبيين للحركات والمجموعات الإسلامية المتشدّدة .. وفي المقابل، وبدل "مكافحة هذا التهديد"، استسلم الأوروبيون، فخسروا "ولاءاتهم وثقتهم بالذات"، وفقدوا 'احترام ثقافتهم الوطنية'، وبذريعة التعددية الثقافية 'استسلموا للإسلام والمسلمين !

ويقترح لويس أن يقوم الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة بالنيابة عن أوربة في مكافحة الإسلام بخوض معركة ثقافية ضد هيمنة الإسلام عن طريق تشجيع وسائل الإعلام العبرية، الفضائية منها بصفة خاصة، لكي تقدّم للمسلمين بديلاً ديمقراطياً عن العنف والتطرّف !

لقد كان برنارد لويس صريحا في تحريضه، وتقديم مسوغات هذا التحريض المتمثلة في زيادة عدد المسلمين عن طريق التكاثر، وهو ما أشار إليه في حديث لصحيفة دي فيلت الألمانية .. يقول :

"أوروبا سوف تكون جزءاً من المغرب العربي" .. لماذا؟ لأنّ 'التوجهات الحالية تظهر أنّ أوروبا ستشهد أغلبية مسلمة في نهاية القرن الحادي والعشرين على أقصى تقدير، وإلى جانب الأعداد المتزايدة من المهاجرين العرب والمسلمين، فإنّ الأوروبيين يتأخرون في

سنّ الزواج ولا ينجبون سوى عدد قليل من الأطفال، بعكس مسلمي أوروبا الذين يتزوجون في سنّ مبكرة وينجبون عدداً أكبر من الأطفال" .

مهما يكن من أمر، فإن مواجهة العنصرية الغربية يقتضي منا نحن المسلمين أن نحافظ على إسلامنا أولا، فلا يعقل أن يكون بيننا من يتفرغ لهجاء الإسلام وتشويهه بأقلام عربية وأسماء إسلامية، وأن نحترم مواطنينا في بلادنا ونسعى لحفظ كرامتهم وصيانة حقوقهم، وأن نقدم الصورة المضيئة للإسلام في السلوك والعلم والعمل، وأن يتم التعامل مع الغير بالمثل، وأن يكون لدينا الحق في اتخاذ الإجراءات الوقائية والكفيلة بردع العنصرية الغربية، ولدينا وسائل عديدة اقتصاديا وسياسيا وفكريا .. ثم إن القوة المعنوية والمادية غالبا ما تحسم مثل هذه الأمور، فالناس عادة يعدون الضعيف لا قيمة له، ولا ثمن .

الوزير الفنان والردح بأموال الكادحين !

أن يكون النظام البوليسي الفاشي مصرا على إهدار أموال الدولة من أجل ترشيح الوزير الفنان كاتب التقارير الحرام ضد الطلاب والمبعوثين في فرنسا، ليفوز بمنصب اليونسكو الذي لن يقدم ولن يؤخر بالنسبة للوطن التعيس المحتاج إلى الحرية والكرامة والعدل ؛ فهذا شأنه لأن أحدا لا يحاسبه، فهو يتصرف في مصر وكأنها عزبة مستباحة ومملوكة للمسئولين على مستوياتهم المتعددة، يفعلون بها ما يريدون، ولو كان ذلك ضد الإرادة الشعبية وضد متطلبات الواقع !

ولكن الذي يعنينا الآن بعد أن رفضت الصين الشعبية وفرنسا أن تعلنا عن مساندتهما للفنان كاتب التقارير، ومحطم الكرامة الوطنية على أبواب الغزاة القتلة اليهود في تل أبيب، وتقديم التنازلات المخزية لهم، وترميم آثارهم اليهودية في القاهرة جلبا لتعاطفهم ومؤازرتهم في اليونسكو المستحيل إن شاء الله ؛ هو ما تقوم به جريدته غير الغراء، مع جرائد أخرى ينفق عليها الشعب التعيس من أموال الكادحين والفقراء والمطحونين ؛ بالردح لصفوة العلماء والفضلاء والمثقفين الذين لم يدخلوا حظيرة الوزير، ولم يتناولوا العلف المسموم الذي يقدمه للمربوطين في أوتادها ..

تصور جريدة ينفق الشعب المصري على طبعها ومكافأة كتابها وتغطية خسائرها المتصاعدة ؛ تصف الصفوة غير الحظائرية بمصاصي الدماء والجهلاء الذين يخوضون معارك قذرة ! والسبب في هذا الردح المستنير (؟) أن الصفوة تتعرض للمزور البذيء بالكشف والفضح ليكون عبرة لغيره ممن يحاربون الدين ويستولون على جوائز الأمة بالغش والتدليس ودون مؤهلات بحثية حقيقية تؤهلهم لهذا الاستيلاء الرخيص الذي يساعدهم عليه وزير فاسد مفسد، آثر اليهود الغزاة القتلة على إسلامه وقومه ووطنه !

والمفارقة أن الحظائريين في جريدة الوزير لا يخجلون من أنفسهم حين يفرشون الملاية للشرفاء، ثم يتحدثون عن أدب الاختلاف، ويضربون أمثلة في غير محلها لتسويغ الردح المستنير (؟) من قبيل أن الذين اشتبكوا مع طه حسين لم يشككوا في مؤهلاته ؟وأن التاريخ حفظ لنا معارك فكرية يمكن وصفها بالنظيفة، ولم يستخدم الخصوم فيها أسلحة محظورة ؟، ونسي الحظائريون في غمرة ردحهم المستنير (؟) أنهم يصمون كل شريف بالظلامية والسلفية والأصولية والرجعية

والبـداوة والوهابيـة والعمـالة للنفط، دون أن يملكوا الجرأة على وصفهم بالإسلام الذي صار هدفـهم الأعلى، أمـلا في إقـصـائه، وإلغـائه واستئصاله، حتى يتحقق لهم انتصار العلمانية التي يرونها المنقذ من الضلال !

من قـال لكم يا أهل الحظيـرة إن الشـعب المصري يريد العلمانية بعد أن رأى تطبيقها في تركيـا دولة الخلافـة الإسلاميـة ؛ يعني إلغـاء الإسلام واستئصاله لدرجة محاكمة نائب في البرلمان التركي نسي وقال في إحدى مداخلاته: إن شاء الله ! العلمانية الأتاتوركية تعني أن لا يقـول المسلم يا رب، وأن يكف عن ارتيـاد المساجد، وأن تخلع المرأة الحجاب، وأن يتعامل بالربا، وأن ينسى القرآن، وأن لا يتكلم العربية .. فهل ترون الشعب المصري يوافق على ذلك يا أيها الحظائريون ؟

لماذا تكفـرون كل من يدافع عن الإسـلام وتصـفونه بالمتـأسلم ودعيّ الدين ووكـيل الله على الأرض ؟ وفي الوقت ذاته تجـأرون ليل نهـار بأن الناس تكفركم، وأن الصفـوة غيـر الحظائرية لا هم لها إلا التكفير ؟

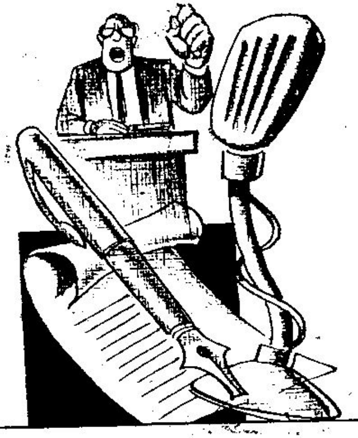

تأمل ما قالته جريدة أدبية حكومية على لسان طائفي متعصب هجاء للمسلمين ودينهم، ودفاعا عن المزور البذيء الذي لا يوفر دينا ولا قيمة ولا خلقا .. يقول المتعصب الطائفي الذي يتـمـرغ في دولارات الدولة الحاضنة والقـوية والداعمة :

"في عصور الجهل والظلام وهي عصور لا تزال قائمة في عقول البعض في يومنا هذا - كانوا يسحقون ويصلبون الكفار من كل ملة ودين، والكفار هم من يخالفونك في المعتقد وكل من لا يؤمنون بالإله الذي تؤمن به أنت وبنفس الطريقة والأسلوب بل والكلمات التي تؤمن بهـا أنت، إن التكفيـر هو أحد مظاهر حالة الهياج الديني المرضي الحادة المصابة بها مجتمعاتنا، ولا يوجد مجتمع آخر متحضر اليـوم يضيع وقتا في قضايا تكفير وهجوم ودفـاع في أمـور تتـعلق بمعـتـقـدات وأديان، وحدها مصر والمجتمعات العربيـة تستهلك نفـسـهـا في مثل هذه الأمـور التي لا تفـيـد الإنسـان أقل فـائدة بعـد أن أصبح التـدين الجماعي العلني لديها حالة نفسيـة مرضية مستفحلة تتطلب علاجا سريعا، لقد غرقت المؤسسـات الحكوميـة والمدنيـة والسيـاسيـة والتعليمية والإعلامية في مصر في مستنقع أصبح فيـه التدين جزءا من منظومة الفسـاد والعبث والعشوائية والبلطجية والفهلوة وعدم العـمـل وتدني الإنتـاج وعـدم الإحـسـاس بالمسئولية والمحاسبة على الخطأ وقد تحول أغلبيـة الناس إلى دراويش لا يفـعلون بل ينفـعلون ويفعل بهم، يقبلون الظلم والفساد والعبث والاستـهتار بمفاهيم الاتكال على الله والرضا والصبر الجميل ويرتكبون كل إثم تحت غطاء من الورع الزائد والتقوى المفتعلة، وقد منحوا عقـولهم عطلة طويلة وسلموا أمـورهم للفتاوى التي تحكم خطواتهم وخلجاتهم، وبهذا

كله تتحول مصر الحضارة إلى مجتمع فاشل خامل تضر به العشوائية والتسيب ومآله هو ومجتمعات عربية كثيرة تحذو حذوه".

الطائفي المتعصب يرى أن نترك من يهينون الإسلام ويزورونه ويرونه دينا وضعيا، وينسى أن قومه لا يكفون ليل نهار عن محاولات التنصير وضم المجرمين والهاربين من أحكام قضائية، والذين يعانون أمراضا نفسية والشواذ والباحثين عن المتعة إلى النصرانية نكاية في الإسلام وأهله، ويرى أن التدين أو الإسلام صار مستنقعا، وصار عنصرا من عناصر منظومة الفساد التي تحكم الوطن التعيس مثل العبث والعشوائية والبلطجة والفهلوة والدروشة والتواكل، ويرى أن نتخلى عن ديننا لكي نتقدم. أرأيتم وقاحة أشد من هذه الوقاحة؟ أرأيتم كيف يخاطبنا أهل الردح المستنير (؟) على صفحات جرائد مدعومة من عرق الشعب الفقير ؟ ولأن الأمر ليس حالة خاصة بأهل الحظيرة فإن الردح المستنير يتواصل مع الجريدة الطائفية الناطقة باسم الكنيسة التي لا تريد للإسلام أثرا في الوطن التعيس، يتهم طائفي متعصب آخر على صفحات الجريدة الطائفية المسلمين والقنوات الإسلامية بالتعصب، ويرى أن هذه القنوات يمكن أن تتحول إلى قنبلة موقوتة يمكن أن تنفجر في أية لحظة لأسباب لا علاقة لها بالدين لا من بعيد أو قريب، ويتحدث الطائفي المتعصب عما يسميه أعواد الثقاب التي تنهمر عليهم كل لحظة من وسائل الإعلام وخطباء التعصب ووكلاء الكراهية .. باختصار يريد الطائفي المتعصب أن نطلّق الإسلام ثلاثا، كي تزدهر الوحدة الوطنية ويعم التنوير، ويحدث التقدم المنشود، ولم يقل السيد الطائفي إن كنيسته تقود تمردا بشعا لتمزيق الوطن وتخريبه وتدميره بحجة أن المسلمين غزاة وبدو وصحراويون ولغتهم العربية لغة دخيلة، ويجب أن يخرج المسلمون من مصر حتى يتحقق استقلال النصارى وحريتهم.

هل ترى فارقا بين ما يقوله أهل الحظيرة ومن بينهم المزور البذيء وبين ما يقوله الطائفيون المتمردون كراهية للإسلام وسعيا لإقصائه وإلغائه واستئصاله ؟

وهل ترى فارقا بين انبطاح الوزير الفنان أمام الغزاة اليهود القتلة وبين ما يريده المجرمون الصهاينة من الإسلام وأهله ؟

ألا ترى أن الردح المستنير (؟) جزء من الحملة على الإسلام ؟ وأن أهل الحظيرة مجرد دمى تنفذ مخططا بشعا ضد دين الأمة بلا ضمير ولا خلق ولا قانون ؟

على كل حال : سوف ينتصر الإسلام على الحظيرة والمقيمين فيها ورعاتها، ولن يحصدوا إلا خرط القتاد بإذنه تعالى !

الفرح يأتي من الشرق ؟

فلنترك عالمنا العربي الإسلامي الحزين المسكون بالآلام والمحن، والمتاعب والتخلف، والطواغيت واللصوص، ونرحل إلى المشرق حيث مطلع الشمس، لنستمع إلى نغمات شجية تلخص حركة شعب يبحث عن مزيد من التقدم والرفاهية، ومزيد من الحرية والاستقلال.

الشعب الياباني أجرى انتخابات شفافة في أواخر أغسطس ٢٠٠٩م، أزاحت الحزب الحاكم الذي ظل متربعا على سدة الحكم خمسا وخمسين عاما، مليئة بالإنجازات الحقيقية وليست الورقية والإنشائية، ولكنه مع ذلك خسر أمام الحزب المعارض الذي وضع سقفا مرتفعا لآمال الشعب الياباني وطموحاته. تصوروا الشعب الياباني الذي ينافس الولايات المتحدة في التقدم والرفاهية يرى نفسه في

درجة أدني من الآخرين ؟ ويتطلع إلى تحقيق المزيد من الطموحات والآمال ؟

لقد اعتذر آسو - رئيس الوزراء المهزوم - في مؤتمر صحفي عقده عقب إخفاقه في الانتخابات : عن الخسارة الفادحة لحزبه الحاكم، وقد أرجعها لفشله في معالجة المشكلات الاجتماعية المتفاقمة واتساع الفجوة بين دخول اليابانيين، مؤكدا تحمله مسئولية الهزيمة النكراء والأولي لحزبه الليبرالي منذ٥٥ عاما .

وأضاف أنه اتخذ قرار حل مجلس النواب والدعوة لإجراء انتخابات مبكرة في التوقيت المناسب، لاسيما أنه كان منتظرا الإقدام علي مثل هذه الخطوة عقب توليه رئاسة الوزراء في سبتمبر الماضي .

وأكد آسو أنه لم يكن من الخطأ منح الأولوية لخطط التحفيز الاقتصادي في خضم أزمة مالية واقتصادية عالمية بدلا من الدعوة لانتخابات مبكرة، وذلك في محاولة لتبرير تأخره في الدعوة إليها، مما منح الحزب المعارض فرصة ثمينة لتدعيم قواعد شعبيته .

كما أكد أنه سيضمن إعادة بناء الحزب الليبرالي الديمقراطي الذي سينتقل لمقاعد المعارضة للمرة الأولي منذ تأسيسه عام ١٩٥٥

تصوروا الحاكم الياباني يستقيل ببساطة، ولا يطعن في شرعية الانتخابات، ويعتذر عن خسارته، ويعترف بفشله في حل المشكلات الاجتماعية المتفاقمة (؟)، واتساع الفجوة بين دخول اليابانيين (!)، هل يعلم رئيس الوزراء الياباني المستقيل شيئا عن الفجوة بين أغلبية المصريين الساحقة وبين أقلية ضئيلة تتمتع بالمليارات والملايين ؟ إنه رئيس وزراء حالم لا يعيش في مصر .. ثم يعلن في فروسية ونبل أنه يتحمل مسئولية الهزيمة النكراء التي أطاحت بحزبه الليبرالي الديمقراطي عن عرشه لأول مرة منذ ٥٥ عاما !

أرأيتم كيف يتعامل الحكام الذين لم يتعلموا الإسلام، ولم يطالعوا الآية الكريمة : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان،وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ﴾ (النحل : ٩٠) .

الحاكم الياباني المستقيل لم يلجأ إلى تزوير الانتخابات، أو منع الناخبين غير المؤيدين له من الوصول إلى صناديق التصويت، أو منعهم من الترشيح أصلا، ولم يطلق على معارضيه كلاب جهنم للتشهير بهم وتجريحهم والنيل من أعراضهم .

الحاكم الياباني يفسر أسباب الهزيمة النكراء بوضوح ودون تلعثم، أو استخدام لغة المجاز، ويعد بأنه سيكافح من أجل إعادة بناء الحزب وسياسته .. هل يعترف حكام العرب والمسلمين بأخطائهم بمثل هذه الشفافية ؟

لقد بدأت اليابان نهضتها الحديثة بعد ثمانية عقود من النهضة المصرية التي بدأها محمد علي، وخاضت حربين عالميتين خرجت منهما خاسرة ومدمرة، وكانت أول دولة تصيبها القنابل الذرية بعد القصف الأميركي الهمجي في الحرب الثانية، ولكنها نهضت وتفوقت، وصارت اليوم رمزا للجدية والعمل والانضباط والتقدم، بل صارت تناطح الدولة العظمى التي دمرتها ووضعت أنفها في الرغام!

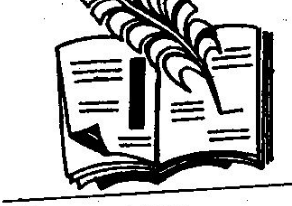

لقد سادت حالة التفاؤل بين الأوساط اليابانية، وقفزت أسعار الأسهم في بورصة طوكيو في رد فعل إيجابي علي فوز المعارضة، حيث قفز مؤشر نيكي ٢٣٢,٨٦ نقطة ليصل إلي ١٠.٧٦٧ نقطة، وهو أعلي مستوي له منذ مطلع العام الحالي، كما ارتفع سعر صرف الين الياباني مقابل الدولار الأمريكي الذي بيع عقب الفوز مباشرة بـ٩٣,٢٧ ين .

لقد وصف هاتوياما - زعيم المعارضة الفائز - الانتخابات بأنها ثورة من الناخبين علي الوضع القائم، وأن الشعب الياباني سئم سياسات الحزب الحاكم، وكان يطمح للتغيير، وتعهد - في خطاب النصر الذي ألقاه عقب الفوز - بالإنصات لصوت الشعب، وألا يتم التعامل معه بتعال، مشيرا إلي أنه سيركز خلال الأيام القليلة التي تلي انتقال السلطة لحزبه بشكل سريع وسهل، وأنه سيعكف علي إجراء مشاورات لاختيار أعضاء حكومته الجديدة، وأن تركيزه ينصب في البداية علي اختيار وزير المالية الجديد حيث إن حقيبة المالية تعد من أهم الحقائب الوزارية في اليابان، ويكتسب المنصب أهمية متزايدة في ضوء الأزمة المالية العالمية الراهنة، كما تعهد زعيم المعارضة اليابانية الذي حقق فوزا كاسحا بإصلاح النظام الإداري وانتهاج سياسات أكثر استقلالا عن الخط الذي تتبعه الولايات المتحدة .

انظروا إلى الزعيم الذي يتحدث عن سأم الشعب الياباني .. ماذا لو عرف أن شعوب المسلمين تصرخ وتجأر بالصراخ من شدة الآلام والأوجاع التي صنعها المتخلفون الطغاة فأصابوا كبده بالفيروس الذي لا شفاء منه إلا بمعجزة إلهية ؟

انظروا إلى الزعيم الذي يعلن أنه سينصت لصوت الشعب، ولن يتعالى عليه، وسيصلح نظامه الإداري والاقتصادي، وسينتهج سياسة أكثر استقلالا عن الولايات المتحدة .. من من آلهتنا العاجزة ينصت أو يتواضع أو لديه الرغبة في الإصلاح أو الاستقلال ؟

الشعب الياباني لا يملك عوامل التفوق الاقتصادي مثلما نملك، ولكنه يملك الإرادة التي جعلته يعمل في إطار إنساني حقيقي يحقق لأبنائه جميعا الحرية والكرامة والعدل والمساواة، فلا محظور ولا محظوظ، ولا ابن الجارية وابن الهانم، ولا انت عارف أنا مين ولا أنا ما ليش حد، ثم إنه شعب يحافظ على ثقافته القومية ولا يفرط فيها مثلما يفعل الوزير الفنان الذي يحارب ثقافة بلاده، ويقلب حقائق التاريخ ليكون الغازي المتوحش رسول ثقافة وبشير تقدم ؟ لقد كان شرط اليابان في معاهدة الاستسلام : الإبقاء على الإمبراطور رمز الثقافة القومية اليابانية وبالتالي الحفاظ الصارم على اللغة اليابانية والتشدد في تعليمها ورعايتها وفرضها في كل مراحل التعليم وجعلها اللغة الأساسية في المقررات الدراسية !

هل أتاكم نبأ اللغة العربية، وما تعانيه على يد أبنائها من الصفوة، وغير الصفوة ؟

لقد أضاء الشعب الياباني الجزر اليابانية بالفرح الحقيقي حين أجري انتخابات حرة نزيهة على الحقيقة وليس على المجاز، والسؤال هل يمكن أن نرى فيما تبقى من عمر شيئا كهذا الفرح على أرضنا العربية الإسلامية ؟

لست أدري !

الدولة البوليسية والتطرف الشيوعي !

يواصل مثقفو الحظيرة نشر مغالطاتهم وأكاذيبهم على الناس في صلافة تصل إلى حد الوقاحة من خلال الآلة الإعلامية الحكومية والحزبية والخاصة الواقعة تحت الهيمنة البوليسية، لتحقيق هدفين : الأول : خدمة الدولة البوليسية والتمهيد لخطواتها في استئصال الإسلام وإبعاده عن الواقع الاجتماعي تحت ذرائع متعددة من قبيل التطرف والإرهاب والظلامية والأصولية والسلفية والتخلف والدولة الدينية ...إلخ، والآخر تحقيق منافع ذاتية وخاصة على المستويين المادي والنظري، بعد أن انكشفت حقيقتهم المزيفة ومولاتهم للصهيونية، وانكسرت قوتهم بسقوط الراعي الرئيسي(الاتحاد السوفيتي)، وتضاءل وجودهم العددي والفكري، بعد توهج الفكرة الإسلامية ونفض الرماد عنها ..

لقد تعود مثقفو الحظيرة على أن يقولوا ويسمع الناس، وأن يأمروا الواقع الثقافي فيطيع، بحكم ما أعطته الدولة البوليسية لهم من إمكانات هائلة للنشر والتعبير، ووسائط حكومية وحزبية وخاصة تقع تحت الهيمنة البوليسية، ولكن الشبكة الضوئية وإمكاناتها المذهلة أفقدتهم صوابهم، بعد أن أتاحت للأقلام المحجوبة أو الممنوعة من النشر في الوسائل التي يفترض أنها قومية أو حزبية أو خاصة، تقديم الحقائق، ومواجهة الجرائم الفكرية والثقافية التي يقترفها الحظائريون الشيوعيون المصريون وأشباههم من الباحثين عن المنافع الذاتية والمصالح الشخصية ..

لن تكون جائزة القمني آخر هذه الجرائم بالطبع، فالقوم يحاربون - في حماية الدولة البوليسية معركتهم الأخيرة إن شاء الله، ويتصورون أن إمكاناتهم في سحق الإسلام بلا حدود، ولكن قدر الله له أجل معلوم، فهناك أجيال جديدة تملك الوعي، وتنافح عن الدين بما تملك من جهد ودم، وترى مصر عقل الإسلام الذي لا يمكن التفريط فيه، كما أنها تؤمن بالرابطة الشرقية،أي الرابطة الإسلامية التي أهانها شيوعي طائفي قديم ووصفها بالسخافة ذات يوم بعيد ؛ تقربا إلى سادته الاستعماريين الذين كان يتقرب إليهم بكل الوسائل، ومنها كتابة التقارير ضد الأدباء والصحفيين، ومنهم العقاد رحمه الله .. لقد ذهب المخبر وبقي العقاد ! وتلك سنة الله في خلقة : الزبد يذهب جفاء، أما ينفع الناس فيمكث في الأرض، فاعتبروا يا شيوعيون .. يا أهل الحظيرة !!

قال أحد الشيوعيين الذين منحوا جائزة دولة في عام مضى بعد أن أهان الذات الإلهية : إن الدستور المصري يعطي شرعية للتطرف؛ بسبب المادة الثانية التي تنص على أن الدين الإسلامي هو المصدر الرئيسي للتشريع، كما قال إن الدستور يعطي بيد ما يأخذه بالأخرى .

وأضاف الشيوعي الذي أهان الذات الإلهية في خلال الندوة التي عقدت بمكتبة ما، إن ثوابت الأمة تختلف من مكان لآخر؛ فالثوابت في مصر الجديدة غيرها في بولاق الدكرور، مشيرا إلى أن المرجعية الواحدة التي يقف عليها يوسف البدرى والمحامى الذي وكله

لرفع دعوة قضائية ضده هي المرجعية نفسها التي يقف عليها القضاة في مصر .

هكذا يكشف الشيوعيون عن وجههم الحقيقي المعادي للإسلام، الراغب في استئصاله، الساعي إلى إبعاده حتى من مادة صورية في دستور لا يخدم إلا الدولة البوليسية التي يلمّع الشيوعيون بيادتها .

الشيوعي يريد إلغاء المادة الثانية من الدستور لأنها تشير إلى إسلامية الدولة ! الإسلام لا يريده الشيوعيون ومن يستخدمونهم، ولكن هل يوافق المصريون المسلمون وهم الأغلبية التي تشكل ٩٩ر٥٠٪ من سكان مصر بإيمانهم بالإسلام عقيدة أو ثقافة ؛ على استبعاد الإسلام من دستورهم؟ أظن أن ذلك أمر مستحيل، لأن الإسلام حياتهم ومستقبلهم، وتراثهم وتاريخهم وأمجادهم وأحلامهم، وآلامهم وأحزانهم .

من المؤكد أن الشيوعي المجهول يعزف على الوتر النشاز الذي يردده بقية الشيوعيين من خدام الدولة البوليسية، في الحظيرة، وهو الكلام عن الثوابت الإسلامية التي هي ثوابت الأمة بالضرورة ؛ بطريقة تؤكد أمرا من اثنين : إما أنه جاهل لا يفقه معنى الثوابت في المفهوم الإسلامي وتشريعاته، وإما إنه عميل للجهات التي تسعى لاستئصال الإسلام . وفي الحالين فأمره إلى خسران مبين وجرم كبير، ذلك أن الثوابت الإسلامية لا تتغير في مصر الجديدة ولا بولاق الدكرور ولا وسط البلد فالصلاة والزكاة والحج والصيام والجهاد مثلا لا تتغير في شرم الشيخ ولا تختلف في شارع كريم الدولة الذي يسكنه المسلمون وليس الشيوعيين، والمرجعية الإسلامية واحدة لا تختلف عند فلان أو علان لأنها واحدة ذكرت في القرآن الكريم والسنة المطهرة وأجمعت عليها الأمة بشكل واحد وصورة واحدة، ولم يشذ عنها أحد من المسلمين، اللهم إلا الشيوعيين وأشباههم من خدام الدولة البوليسية الفاشية .

الشيوعي الذي يسخر من الثوابت من خلال حديثه عن اختلافها في بولاق الدكرور ومصر الجديدة، لا يكتفي بهذه السخرية، ولكنه ينتقل إلى إدانة قضاة مصر لأنهم مسلمون، والإسلام في نظر الشيوعي الحكومي جريمة لا تعادلها جريمة كما علمه سادته الذين في كريم الدولة ولاظوغلي، وإنه لشرف عظيم لقضاة مصر أن ينتسبوا إلى الإسلام، وان يكون الإسلام مرجعيتهم الأولى والأساسية، ويبدو أن صاحبنا رأى في القضاة الذين نفذوا القانون وسحبوا منه الجائزة التي حصل عليها مكافأة لإهانته الإسلام والذات الإلهية، خصوما يجب أن ينال منهم، وأن يصمهم بالصفات الكريهة انتي يصف بها الشيخ يوسف البدري ومحاميه، وهذا لعمري دليل على الخواء والسطحية، وفراغ القلب والعقل من الرؤية الإنسانية والعواطف الكريمة .. وبدلا من مراجعة النفس، واحترام عقائد الناس، يلجأ أمثال هذا الشيوعي الحكومي إلى التشهير بهيئة اجتماعية تحرس العدالة وسط ظروف قاهرة، وتحاول ما وسعها الجهد أن تقف إلى جانب القانون حرصا على العدل والحق العام والحق الخاص .. بيد أن الشيوعيين الحكوميين يريدون إخضاع الدنيا والدين والدولة لهم ولإرادتهم الصهيونية الفاشية !

المفارقة أن الشيوعي الحكومي لا يخافت بالدعوة إلى إلغاء الإسلام ولكنه ينادي جهارا نهارا بإقصائه بحثا عما يسميه الدولة المدنية، وكأن الدولة البوليسية التي تستخدمه لا تمثل له قلقا أو أرقا مع أنها حاضنته وحاضنة أمثاله، ولذا يطالب بتغيير الدستور، ويعلن أن الدستور ليس مقدسا لأنه يعبر عن واضعيه وأصحاب الحل والعقد لما يأتي مع مصالحهم أولا ثم المصلحة العامة ثانيا، مشيرا إلى أن العصور الأولى قبل المدنية في مصر كان الناس يسألون رجال الدين والمشايخ، ولكن مع تطور الدولة المدنية نشأ القانون وحل الفتوى إلا عندنا في مصر، وظلت النهضة المصرية الحديثة تأخذ بالقانون والفتوى كما يقول الشيوعي الحكومي - مما أدى للانشقاق في المجتمع، فمرة تعليما دينيا ومرة أخرى نراه مدنيا، وكثيرا ما تتعارض المرجعيات (؟) ويحدث تفسخ في المجتمع!

الفتوى هي الهاجس الذي يقلق الشيوعيين وأشباههم في مصر وهي رمز إسلامي ينبغي في تصورهم حذفه ومحوه من الوجود حتى تتحقق "مدنية" الدولة، وكأن القانون في مواجهة الفتوى، والدستور في مواجهة الإسلام؟

وبالطبع يتجاهل الشيوعي الحكومي أن انشقاق المجتمع جاء من مصادرة الحريات ولصوصية الكبار المدعومة بالقانون، فتحول الناس إلي فريقين : الفقراء والكادحين وهم الأغلبية الساحقة، والأثرياء وخدامهم من الشيوعيين وأشباههم في الدولة البوليسية الفاشية، ولا تستغرب أن يكون الشيوعيون المصريون في خدمة الأثرياء .. لقد صاروا أصدقاءهم وندمانهم وسمارهم وأقلامهم ومروجي أفكارهم لا سيما الطائفية والشعوبية، وهم يجدون المقابل في صحف الأثرياء وقنواتهم التلفزيونية وجوائزهم الثقافية (؟) ومنتدياتهم وشركاتهم وسهراتهم المخملية!

سيبقى الإسلام في الدستور أو خارج الدستور، ولن يستطيع أحد أيا كان أن ينال من الإسلام لأنه محفور في الصدور والقلوب والمشاعر، حتى لو طمسته رمال القهر والطغيان وجرائم مثقفي الحظيرة من الشيوعيين وأشباههم!

حاشية:

يا وزارة الداخلية : ازداد عدد القتلي على الطرق السريعة والفرعية، والقاتل الرئيس بل الوحيد هو السيارات الضخمة التي تجر مقطورة أو المسماة بالتريلا، ونسأل متى يتوقف نزيف الإسفلت في ظل سطوة الحيتان أصحاب المقطورات؟

وحتى يتم تطبيق قانون توفيق أوضاع هذه السيارات تستطيع الداخلية أن تمنعها من السير في أوقات الذروة على جميع الطرقات، ومن الطرقات الفرعية الضيقة في كل الأوقات ؟

أ.د. حلمي محمد القاعود
drhelmyalqaud@yahoo.com

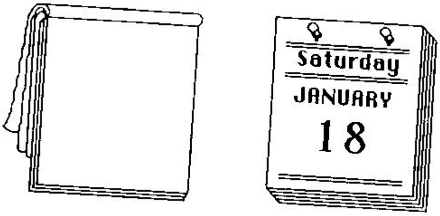

شهريـــات

رسالة أميركا

التعلق بذيول الخنازير !!

لمن يا ترى الغلبة في نهاية المطاف؟ هل الغلبة لمن ينقطع نفسه بغية التعلق بذيل خنزير عسي أن تصيبه نفحة من دبره، بينما الخنزير يهز ذيله محاولا التملص منه متأففا من رائحته، يتضجر في إباء أن يلام علي أفعال من يقتفي أثره: أم القابض علي جمرة من نار، يستلهم الله أن يعطيه القوة علي التحمل والصبر علي أذي أمم تداعت عليه من كل أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ؟ وهل تكون الغلبة للعالق بذيل خنزير يبغي إليه الوسيلة متوسلا أن يعفيه مما ينشره من إنفلونزا، بينما الخنزير يحاول الإفلات ممن يلاحقه خشية أن يصاب هو بالإنفلونزا ؛ أم المتعلق بأستار الكعبة طمعا في رحمة الله سائلا إياه العافية في دينه وبدنه وأن يجنبه أذى الخنزير ومن يتعلق بأهداب الخنازير ؟

ورغم كثرة اللغط مؤخرا حول ادعاء أنها سبب وباء أنفلونزا الخنازير، فإن الخنازير هي الأخرى معرضة للعدوى بأمراض البشر خاصة الإنفلونزا .. كما أن الكثير من الأقوال والحكم والنوادر التي اشتهرت عنها ينطبق علي أشباهها من البشر ..

د.عبدالفتاح الحسيني

فمن الأمثلة الشهيرة : "يمكن أن تضع أحمر شفاه علي الخنزير، لكن الخنزير يظل علي حاله مجرد خنزير"؛ أما الذين يعيشون حياة بذخ فيشبههم الأيرلنديون بمن يعيش علي ظهر خنزير .. ومن الأمثلة الإنجليزية تشبيه من يتخذ قرارا دون تفكير وتمحيص بمن يشتري خنزير في بقجة؛ فهو يلتزم بشروة دون الدراية بما في داخل الشوال أو الحقيبة .. أما "رؤية شيء بعين خنزير" فهو تعبير عامي شائع عن الكذب الصراح والافتراء المكشوف، والبعض يفسر القرارات المغلوطة بأنها قائمة علي "رؤية الموضوع بدبر خنزير" .

ومن أقوال ونستون تشرشل الشهيرة: "الكلاب تنظر إلينا في إجلال، والقطط تنظر إلينا في استعلاء، أما الخنازير فتنظر مباشرة في عيوننا تري فينا ندا بند". وفي اللغة الأمريكية الدارجة شاع إطلاق كنية الخنزير علي ضابط الشرطة، أما الخنزير المتعالي فمن نصيب المتعصب ضد الحقوق النسائية .. وفي كتاب "مزرعة الحيوان" يصور جورج أورويل حكام الاتحاد السوفيتي البائد بالخنازير حيث تتولي الخنازير مقاليد الحكم في المزرعة وتتحكم بمن فيها من البشر .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "طلب العلم فريضة على كل مسلم، وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب" .. ويروى عن عيسى بن مريم عليهما السلام أنه قال : "يا معشر الحواريين لا تطرحوا اللؤلؤ إلى الخنازير فإن الخنازير لا تصنع باللؤلؤ شيئا ولا تعطوا الحكمة من لا يريدها فإن الحكمة خير من اللؤلؤ ومن لا يريدها شر من الخنزير".. وفي الأثر : "أوحى الله تعالى إلى موسى أن قومك بنوا مساجدهم وخربوا قلوبهم، وتسمنوا كما تسمن الخنازير يوم ذبحها ، وإني نظرت إليهم فلعنتهم، فلا أستجيب لهم ولا أعطيهم مسألتهم" .

المشكلة

ذيول الخنازير صغيرة مدببة تتحرك بعصبية وتشنج، لهذا يقطعها بعض رعاة الخنازير، لأن الخنازير تتسابق في قضم ذيول بعضها البعض. كما أن العادة جرت بين القائمين علي زرائب الخنازير علي إعداد أطباق يشتهونها من ذيول الخنازير المبتورة .. لهذا فإن الخنازير لا تطيق أن يمسك بذيولها أحد ولا تتحمل تزاحم المئات ممن يريدون التعلق بها ، يلومونها علي اتخاذ قرارات مبيتة؛ خاصة وأنهم يخلطون بينها وبين أهل العلم لأن بعض الخنازير، مثل الخنزير أبو لحية الآسيوي، يعلو

ذيله شعر يضاهي شرابة أو زر القبعات التي يرتديها خريجو مدارس الإرساليات والجامعات في حفلات التخرج .

كما أن المريدين ممن يتبعون سنن الخنازير شبرا بشبر فيهندمون شواربهم بصورة تشبه ذيل الخنزير، ومن النساء من يعشقن تسريحة شعر ذيل الخنزير .. كما أن بين عشاق الخنزير من الصينيين من يصفف ضفائر شعره المسدل علي شاكلة ذيل الخنزير .. وقد أدى ذلك إلي إصدار قانون في سان فرانسيسكو بولاية كاليفورنيا بمنع المساجين الصينيين من جنس الهان من إطالة شعرهم وتضفيره كذيل خنزير، ولكن المساجين رفعوا قضية علي إدارة السجن وألغي قانون "ذيل الخنزير" الشهير لما في فحواه من تعصب إثني .

والخنازير مخلوقات ذكية؛ يفوق ذكاؤها بعض الفصائل البشرية، حتى إن عمرو بن مالك قال : "لأن أجالس الخنازير، أحب إلي من أن أجالس أحدا من أهل الأهواء" .

ثم إن الخنازير لديها حاسة شم حادة للغاية نظرا لمخطمها المفلطح؛ لهذا فإن بعض الجيوش تستخدمها في الكشف عن الألغام الأرضية التي تحتوي علي مواد سكرية يعشقها الخنازير، كذلك يستخدمها رجال الأمن في الكشف عن المفرقعات. كما أنها تتمتع بقدرة فائقة علي شم رائحة النفاق والمداهنة البشرية، حتى في وسط الروائح الفجة للروث والقاذورات المحيطة بها .. بل إن الأنثي اشتهرت بالتعرف بأنفها الحساسة إلي النفوس العدائية التي تضمر الشر فتلاحقها وتهاجمها بوحشية وشراسة خوفا علي أطفالها، رغم أن الخنازير ولودة؛ فالأنثي تحمل وهي في سن لا يتجاوز ثمانية أشهر، وقد تضع قرابة ٤٨ خنزيرا في السنة، لأن مدة الحمل لا تتجاوز أربعة أشهر .. لهذا يطلق علي حصالة توفير النقد الشخصية في الثقافات الغربية بنك الخنزير .

أما الخصال المشتركة بين الخنازير ومن يتعلقون بأذنابها، لتفسير قراراتهم المشوبة بروح العداء لأهل جلدتهم، والتجني علي من لا يملكون ما يملكونه من سلطة، هو أن لحم كليهما محرم، والخنازير تسعد بالعيش علي نفايات الناس بينما متتبعو خطاها ينعمون بالغط في نفاياتها .. كما أن الخنازير لا تتورع عن أكل صغارها وكبار السن إذا أصابها الاكتئاب أو شعرت بخطورة علي مصالحها الوقتية .. بل إن الخنازير الوحشية مثل شرار الناس إذا أفسح لها المجال تأتي علي الحرث والنسل بما في ذلك الضعفاء من البشر؛ كما أنها تتلذذ بالهجوم علي الأطفال الرضع والنساء الحوامل .

الإنسان يضاهي الخنزير في العديد من الخصائص التشريحية. لهذا فإن خبراء زراعة الأعضاء يحاولون استخدام بعض أعضاء الخنزير مكان الأعضاء التي تفشل في أداء وظيفتها في الإنسان. هذا ربما يقلل من الحروب التي تشن لحصاد أعضاء القتلي من قرنية وكلي لبيعها في السوق السوداء ؛ كما قد يقلل من حصاد أعضاء الأحياء من المعارضين في الصين. وهناك بعض الباحثين

يسعون من خلال الهندسة الوراثية لتربية خنازير أكثر ملاءمة لنقل أعضائها إلي الإنسان؛ خاصة القلب .. ولا يدري أحد ما في بطن الغيب، فربما أمكن زراعة خلايا الحس والضمير في جوف من ضمر حسه ومات ضميره .

حيثيات فتوى الحج

يقول بنيامين دزرائيللي رئيس وزراء بريطانيا السابق ومارك توين الكاتب الأمريكي الساخر: "هناك ثلاثة أنواع من الأكاذيب : أكاذيب، وأكاذيب ملعونة (تصوير الأمور من وجهة نظر خنزير)، وإحصائيات". ولعل الإحصائيات هي شر أنواع الكذب فهي حق يراد به باطل، لأنها قائمة علي جمع بيانات صحيحة، لكن من البساطة بمكان عرضها بصورة ملفقة وفق أهواء من يعرضها، حيث يمكن عن طريقها إثبات أن الشمس تغرب في الشرق وتغرب في الغرب في الوقت نفسه .

والشركات التجارية تتقن هذا المنوال من عرض الإحصائيات لإغراء المستثمرين ؛ مثل ما فعلته شركة إنرون التي أصدرت تقريرا سنويا تظهر فيه بالإحصائيات أرباحا ضخمة، وعقب ذلك بأسابيع أعلنت إفلاسها. وكثير من الإدارات الحكومية تتقن هذا الفن، لهذا فإن تقرير أي مصلحة حكومية في أي دولة في العالم يشير إلي نمو مطرد ولا يمكن أن يلمح ولو بالإشارة إلي احتمال تدهور اقتصادي؛ رغم أن جيوب الناس علي الحديدة وبطونها خاوية. وهنا يمكن القول إن البيانات صدقت ولكن الراوي كاذب .. ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾ .. (المنافقون : ١) .

من أجل هذا ليس مما يدعو للدهشة ما صدر من توصيات وزراء الصحة العرب بخصوص إنفلونزا الخنازير والحجر المفروض علي الراغبين في الحج؛ خاصة بعد سماع حيثيات فتوى وزير الصحة علي شاشة التليفزيون، عمن يمكن له أن يحج ومن لا يجوز له الحج أو لا يصرح له بالحج. فمن يستمع إلي التصريح المسهب يظن أنه قبالة مندوب شركة تأمين يعرض علي الناس بوليصة تأمين علي الحياة. وقد صدق في أن الوزراء العرب استعانوا بخبراء أجانب. وبلا شك أن هؤلاء الخبراء الأجانب أدرى بفقه الدين الإسلامي إن لم يكن لكفاءة في العلوم الدينية فهم علي أقل تقدير خواجات يرطنون باللاوندي، كما أنهم يفهمون في أصول الشريعة الدولية ويؤمنون بأصول المقامرة ويجيدون لعبة الثلاث ورقات .

ومما لا شك فيه أن مستشاري وزراء الصحة أدرى بالطب والصحة العامة من الأطباء والجراحين الذين يعالجون مرضي لا يرجى لهم شفاء، ويكبون علي بحوث لإيجاد أدوية لما يعرض لهم من داء؛ بل ويقدمون علي جراحة دون مراعاة لاحتمال موت المريض تحت تأثير البنج، وهذا احتمال أكبر من احتمال إصابة عجوز فوق الخامسة والستين بأي نوع

من الإنفلونزا ووفـاته من جـراء ذلك. وقـد يقدمون علي إجراء عملية لإنقاذ حياة إنسان دون مبالاة بالإحصائيات التي تصدرها شركات التأمين .

ووفق تصريحات وزير الصحة فإن غالبية الأطباء يجهلون قوانين الأمن الحديثة التي تقتضي القبض علي من يمرض بمرض معد وإحالته إلي النيابة. وهذا قصور كبير في مناهج تعليم الطب البشري. والأحرى إدخال معامل حديثة في كلية الطب للتدريب علي إطلاق الرصاص، بحيث يمكنهم تخليص البشرية بصورة فورية وحاسمة ممن يمرض بالسكر أو داء الكبد أو داء القلب أو يزيد وزنه عن الحد القانوني للسمنة؛ فكل هؤلاء يمثلون عبئا ليس علي الدولة فحسب، بل علي البشرية قاطبة .

وإذا لم يرغب الأطباء البشريون في إطلاق النار علي المسنين كما يفعل الأطباء البيطريون مع خيل الحكومة عندما تهرم أو تعجز لإرسالها إلي مصنع الغراء فعلي أقل تقدير يجب علي كل عيادة استثمارية استئجار اثنين بلطجية يقفون علي بابها؛ أسوة بالملاهي الليلية، ليصدوا عنها طالبي العلاج من المسنين والأطفال والمصابين بالسكر والكبد والقلب والسمنة والحمل .

ومن أعجب العجائب في التوصية الشهيرة أن المنع من الحج لم يتطلب شهادة عليها إشارة مائية؛ منعا للتزوير، تثبت خلو الحاج من إنفلونزا الخنازير؛ غير أن هذا إجراء قائم علي العقلانية، وليس علي إحصائيات التأمين علي الحياة .

ولعل الأجدى من تلك الشهادة استخراج شهادة موثقة عليها إشارة نفطية (أعصي علي التزوير من الإشارة المائية) من عرافين ثقاة من قراء الكف ومشوشي الودع وقراء ورق التاروت تتضمن أن الشخص الذي عقد النية على الحج لن يصاب بإنفلونزا الطيور، ولن يتسبب بعدوى أحد ممن يحجون علي حساب الدولة، ولن يموت أثناء الحج .. وحرصا علي عدم تزوير تلك الشهادات يمكن إصدار قانون بسحب شهادة التنجيم من العراف الذي يزور، وإحالة من يتوفاه الله في الحج إلي القضاء. هذا علما بأن علم العرافة والتنجيم قد شاهد تقدما هائلا في أوروبا والولايات المتحدة، حتى إن الرئيس ريجان لم يتخذ قرارا مهما في حياته قبل استشارة العرافة الخاصة بالرئاسة .

التأمين علي الحياة

ربما هناك كثير من الناس ليسوا علي دراية بجداول التأمين علي الحياة التي تقرر شركات التأمين بمقتضاها قسط التأمين الشهري الذي يجب دفعه لسريان التأمين. وهذا المبلغ هو الذي يضمن لشركة التأمين أن تكون هي الرابحة في لعبة تخمين عمر المؤمن عليه .. حيث إنها تقامر، لأن موت الشخص يعني دفع قيمة بوليصة التأمين للمستفيد، وهذا قد يزيد عما دفعه الشخص من أقساط في حياته. ووفق الجدول فإن قسط التأمين يرتفع بتقدم العمر ويصبح القسط ضخما جدا بعد العمر الافتراضي للفرد في موطنه.

ومتوسط العمر في البلاد العربية وفق تقرير التنمية البشرية الصادر عن الأمم المتحدة لعام ٢٠٠٩ حوالي ٦٥،٥ سنة عام ٢٠٠٥ ومن المتوقع انخفاض ذلك هذا العام إلي ٦٥ سنة بأكثر تقدير. كما أن احتمال موت الشخص قبل العاشرة أكبر مما بعد ذلك لارتفاع نسبة وفيات الأطفال في الدول العربية مقارنة بالدول التي لا تتكلم العربية .

ووفقا للجداول، فإن الأشخاص المصابين بأمراض السكر، والقلب، والكلي، والكبد والسمنة المفرطة والحامل يعتبرون الأكثر مخاطرة بالنسبة لشركة التأمين، حيث إن هناك احتمالا كبيرا أن يعجلوا بالموت .. لهذا فإن شركات التأمين ترفع قسط التأمين عليهم .. وقد أضيف لتلك القائمة التدخين، واستثني منها شرب الكحول والحشيش. هذا لأن شرب النبيذ الأحمر وفق تلك الجداول يقلل من خطورة أمراض القلب ويطيل العمر بعدة سنوات .

ويبدو أن مستشاري وزراء الصحة أغفلوا دور النبيذ الأحمر في إطالة العمر وإلا لأوصوا من زاد عمره عن ٦٤ سنة بتعاطي النبيذ الأحمر لمدة سنة علي الأقل حتى يمكن

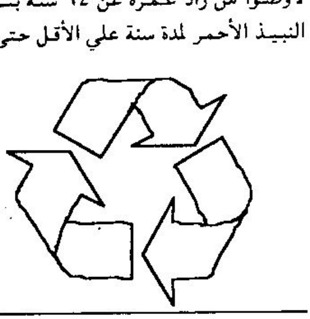

التصريح له بالحج عندما يزيد عمره عن ٦٥ سنة .

ومن النوادر التي جرت أحداثها في مدينة ماديسون بولاية ويسكونسين الأمريكية أن طبيبا عاما كانت تستحوذ علي كل تفكيره إحصائيات شركات التأمين في علاجه للمرضي، رغم أنه لم يعمل في وزارة الصحة .. فقد كان عند أول مقابلة مع مريض يطلعه علي أشكال بيانية لعمره المتوقع علي ضوء سمنته وما به من علل؛ ثم يؤكد الطبيب للمريض أنه شخصيا يتوقع أن يتعدى سن المائة، فهو في صحة جيدة حيث إنه يزاول النشاط الرياضي بانتظام، ويراعي ما يأكل؛ بل إنه يستخدم ميزانا دقيقا لوزن كمية الطعام وحساب السعرات الحرارية، كما أنه لا يعاني أي مرض وراثي أو غير وراثي، ويتفادى الأماكن المزدحمة اتقاء للعدوى .. ولدهشة الجميع، مات الطبيب فجأة بلا مقدمات في الأربعينات من عمره وهو يستجم علي متن مركب شراعية .

شراء بوليصة التأمين

هناك حلول مثالية لمشكلة الحج؛ لا تحتاج لإنفلونزا الخنازير كمسبب؛ فهي نابعة من فلسفة التأمين علي الحياة، بحيث لا تناقض جداول التأمين التي يستخدمها وزراء شركات التأمين علي الحياة في تخفيض عدد الحجاج، وهو حل اقتصادي مشروع في الدول الغربية وخاصة أمريكا، بل إنه يعين علي الخروج من الركود الاقتصادي الذي عم الشرق والغرب .

الحل مقتبس من ممارسات بعض الشركات الاستثمارية في الولايات المتحدة فهي تتصل بالمسنين الذين لديهم بوليصات تأمين كبيرة ولكنهم نظرا لتقدم السن لا يستطيعون تسديد القسط السنوي فيشترون منهم البوليصة لقاء مبلغ يتناسب مع قيمة البوليصة، وتتولي الشركة بعدها دفع الأقساط وعندما يموت المؤمن عليه تحصل الشركة علي قيمة البوليصة كاملة. في هذه الحالة يحصل المسن علي مبلغ يستفيد منه أثناء حياته ويخفف عن نفسه عبء الأقساط، خاصة وأنه لن يحصل علي أي شيء بطبيعة الحال إذا مات، وتكسب الشركة قيمة التأمين الذي قد يصل إلي ملايين الدولارات، والخاسر الوحيد في العملية هم الورثة .

ولتفادي أي نوع من التعقيدات في تبني هذه الفكرة، فبإمكان وزارة الصحة أو أي جهة مختصة شراء بوليصات تأمين تتراوح بين مليون وخمسة ملايين دولار علي الراغبين في الحج ممن يبلغون من العمر خمسا وستين خريفا أو يزيد، وممن هم أقل من اثنى عشر عاما، إلي جانب المرضي بالأمراض التي تقلل من المناعة، ويا حبذا لو أضيف إلي هؤلاء عدد من المصابين بالإنفلونزا من أي نوع .. هذا علي أن يسري التأمين خلال فترة الحج فقط. وهذا ممكن حيث إن من التقاليد الشائعة في الغرب شراء بوليصة تأمين علي المسافر من المطار للتأمين علي حياته أثناء فترة الطيران فقط .

التكاليف في هذه الحالة بما في ذلك تكاليف التكفين والصلاة علي الميتين ودفنهم لن تذكر بقدر المكاسب الهائلة التي ستحظى بها الدول العربية وعلي رأسها مصر خاصة لو كانت هواجس الوزراء في محلها .. وحبذا لو جرت حملة تشجيع لمرضي التيفود في قرية البرادعة بمحافظة قليوب ومن سيلحق بهم من مستخدمي الطلمبات الحبشية للحج هذا العام مع شراء بوليصات أكبر عائدا للدولة علي هؤلاء؛ يخصص جزء منها في هذه الحالة لتعميم الطلمبات الحبشية في سائر القرى .

بل من الممكن فتح صندوق اكتتاب للتأمين علي من يريد الحج من المحظور عليهم الحج، كشركة استثمارية مساهمة؛ إذا صعب فرض دفع تكاليف التأمين علي الحجاج أنفسهم .. هذا علي أن يوصي الحاج بأن تكون حكومته ووزراء الصحة العرب والشركة الاستثمارية المساهمة هي الجهة المستفيدة من التأمين عند وفاته. في هذه الحالة بإمكان موسم حج واحد إنقاذ الاقتصاد العالمي كله؛ وفق إحصائيات الخبراء وجداول التأمين .

نقض أركان الدين

السعي حثيث منذ زمن طويل لتقويض أركان الإسلام واحدا بعد الآخر بمنع المسلمين عن ممارسة شعائر دينهم، بأساليب مختلفة، بحجة دفع الضرر العام. ومن بداية الحملة شنت حرب شعواء علي الزكاة، منذ عهد زعيم القومية العربية، الذي قدم آلاف الشباب للمحاكم العسكرية نتيجة مساعيهم لتقديم المساعدة المالية من أموال الصدقة والزكاة إلي

عائلات المعتقلين والسجناء السياسيين حتى يتضوروا جوعا .. ومنذ ذلك الوقت والخناق يضيق يوما بعد يوم علي مؤسسات الأعمال الخيرية بتهمة تمويل الإرهابيين، حتي إن القوانين المالية تكاد تمنع تصريف أموال الزكاة حتى في بناء المدارس والمستشفيات وفي تصريح صدر من أيام عن وزارة الخارجية الأمريكية أن لديها معلومات عن مسلمين يعاونون طالبان من أموال الزكاة .. ولم يبق من أوجه صرف الزكاة سوى نشر الفتن بين المسلمين حتى يبيد بعضهم بعضا .

وبالنسبة لصوم رمضان فقد اختزلت الفريضة في خيام رمضان ومسلسلات رمضان.

أما الصلاة فإن التضييق علي المساجد في تصاعد مستمر، سواء في أوقات فتحها وتسكير أبوابها، أو في مراقبة المصلين أو في إملاء خطب الجمعة؛ إلي جانب مساعى إلغاء الأذان بدعوى توحيده والاكتفاء ببثه علي

الراديو. بل إنها المؤسسة الوحيدة التي تؤمم بينما يخصخص كل ما عداها بما في ذلك صالات القمار والمواخير ومدارس التعليم .

وبالنسبة للشهادتين فربما يستمر الحفاظ عليها بعض الوقت مع تعديلات يسيرة مثل جعلها ثلاث شهادات .. وصدق رسول الله عليه الصلاة والسلام : "ويل لأمتي من علماء السوء" .

وبهذا فإن الدور قد حان علي فريضة الحج في محاولة إفراغها من مضمونها الروحي؛ وإبدالها بالسياحة الدينية وفق التعبير الشائع الذي يتردد هذه الأيام. ربما كان في هذا خير فالشباب الأصحاء لن يجحدوا دينهم .

تساؤلات

هل يا ترى ستطبق توصيات وزراء الصحة العرب بخصوص الحج والعمرة هذا العام فقط؛ فإذا انقشعت المخاوف من إنفلونزا الطيور والعصافير والخنازير والحمير ستعود الأمور إلي حالها الطبيعي؟ التجارب العملية في الدول العربية أن القرار الطارئ يظل معمولا به إلي الأبد أو حتي يقضي الله أمرا كان مقضيا .

وهل يا ترى سيطبق القرار علي وفود الدول للحج والعمرة أم أن أعضاء تلك الوفود لديها حصانة منيعة من إنفلونزا الخنازير التي تصطفي من عباد الله غير حاملي الحقائب السياسية ؟

د. عبد الفتاح الحسيني
الولايات المتحدة الأمريكية

www.mohamadabbas.net
e.mail :
mohamadab47@yahoo.com
mohamadab@hotmail.com

الشيخ القرضاوى .. وفقه الجهاد

صورة على صفحة الذاكرة، وليس ثمة دليل يميز بين ما إذا كانت تلك الصورة وليدة الخيال المحض أم أن لها جذورا في بقايا واقع وآثار ذكرى، صورة أطفال في الثالثة أو الرابعة، يقفون على شاطئ البحر، تبلل المياه أقدامهم، مجرد أقدامهم، لكنهم يظنون أنهم استولوا على البحر وسيطروا عليه، وأنهم يملكون منه ما تحيط به أبصارهم، بل وأكثر من ذلك يتخيلون أنه لا يوجد من البحر إلا ما تحيط به أبصارهم .. يقف الأطفال يواجهون البحر كأنهم أنداده، ولكن موجة هائلة تأتي فتغرق الأطفال وتحملهم في الدوامة فلا يدرون أمامهم من خلفهم ولا يمينهم من شمالهم ولا فوقهم ولا أسفل منهم .. وتنحسر الموجة وتصل أقدام الأطفال إلى الرمال مرة أخرى، فتتشبث أصابع أقدامهم بذرات الرمل المبتلة، ويخيل إليهم أنهم بهذا التشبث يستطيعون مواجهة الموجة القادمة من البحر الهادر!..

د.محمد عباس

لقد انداحت هذه الصورة إلى وجداني عندما بدأت أتصفح كتاب الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي الأخير .. "فقه الجهاد" .. وهو سفر ضخم في جزأين من حوالي ألف أربعمائة صفحة (بالتحديد ١٤٢٩ صفحة). ومع ذلك فهو موجز أشد الإيجاز حتى إن الشيخ لم يكن يكمل فيه الأحاديث النبوية الشريفة أحيانا مكتفيا بكلمة(إلخ) وكان يهدف بذلك فيما أظن إلى اختصار حجم الكتاب .. وأتصور أن الكتاب كان يمكن أن يصل إلى عشرة أضعاف حجمه لو أن الشيخ أطنب .

يشغل ثبت المراجع ٢٩ صفحة من الكتاب حيث يبلغ عددها ٣٢٢ مرجعا .. يلاحظ فيها الشمول والاتساع والإحاطة والرجوع أحيانا إلى مراجع أجنبية. أما المرجع رقم ٢٢١ فهو يشغل أكثر من صفحة ويندرج تحته ستة وثلاثون مرجعا هي من مؤلفات القرضاوي نفسه .. وبهذا يكون العدد الكلي للمراجع ٣٥٧ وليس فقط ٣٢٢

ولكم حاول الشيخ أن يكون "فقه الجهاد" موجزا وألا يكرر ما كتبه في مؤلفاته الأخرى ولهذا كثرت إحالات إلى مؤلفات سابقة .

وقد قسم العلامة كتاب فقه الجهاد إلى مقدمة ، وعشرة أبواب وملاحق .. ولقد استعمل الشيخ الجليل كلمة "الفهرس" بدلا من "قائمة المحتويات" .. وأظن أن الاختيار الثاني هو الأصوب وأن الفهرس هو ما نطلق عليه كشاف الكتاب .. وقد جاءت قائمة المحتويات في ثلاثين صفحة تقريبا وبتفصيل يتيح للقارئ الرجوع المباشر إلى ما يريد وكأنه معجم .

تشغل مقدمة الكتاب سبعا وعشرين صفحة يتحدث فيها عن المواقف النظرية من الجهاد ومراجعة الجماعات الإسلامية لنفسها ومنهج الكتاب ولمن يوجه الكتاب .. ثم يعرِّف الشيخ الجهاد والقتال والحرب والعنف والإرهاب مظهرا الفروق بينها (ولكم هو موسوعي ومبدع !) ..

وابتداء من صفحة ٥١ يأتي الباب الأول عن حقيقة الجهاد ومفهومه وحكمه .. ويبدأ الباب الثاني صفحة ١٢٩ ويتناول أنواع الجهاد ومراتبه وفيه يتناول موضوعات هامة منها : بين الجهاد والقتال ومرتبة جهاد النفس وجهاد الشيطان وجهاد الظلم والمنكر في الداخل ومقاومة الردة وأخطرها ردة السلطان والردة المغلفة والردة الجماعية .. وفي صفحة ٢٣٧ يبدأ الباب الثالث ويتحدث فيه عن"الجهاد بين الدفاع والهجوم" ..

ويبدأ الباب الرابع من صفحة ٤١١ ويتحدث عن أهداف الجهاد القتالي في الإسلام وعن رغبة الإسلام في السلم وكراهيته الحرب وعن الأهداف المرفوضة للجهاد في الإسلام وعن الفرق بين شريعة التوراة وشريعة

القرآن في الجهاد ثم عن أكذوبة انتشار الإسلام بالسيف .

وبدءا من صفحة ٤٨٧ يبدأ الباب الخامس ويتحدث عن منزلة الجهاد وخطر قعود الأمة عنه .. ويبدأ الباب السادس من صفحة ٥٨٣ ليطرح واجبات الجيش الإسلامي وآدابه ودستوره وفيه يركز على موقفه الشجاع وكل مواقفه شجاعة حتى لو جانبها الصواب نادرا - برفض الاستعانة بغير المسلمين ويدين بكل قوة حرب بوش الصليبية على العراق والإدانة تنسحب بالطبع على كل المشاركين .. ولكن قدرته المذهلة على الإنصاف رغم موقفه من الشيعة تجعله يدين موقف العراق في اعتدائه على إيران .. ينتهي الجزء الأول من الكتاب صفحة ٧٧٥ حيث يبدأ المجلد الثاني بالباب السابع ويجيب عن سؤال :

بماذا ينتهي القتال ؟.. وفى صفحة ٨٣٠ يتساءل في الباب الثامن : ماذا بعد القتال .

أما الباب التاسع (صفحة ٩٥٩) فيتحدث عن القتال داخل الدائرة الإسلامية .. أما في الباب العاشر والأخير فهو يتناول الجهاد وقضايا الأمة .. وابتداء من صفحة ١٢٠٢ تأتي ملاحق الكتاب وهي :

١- بحث في قتال الكفار .

٢-العنف في الكتاب المقدس .

٣- صفحات من ذبائح النصارى بعضهم لبعض واضطهادهم لليهود .

٤- قرار مجمع الفقه بشأن التعامل المصرفي بالفوائد .

٥- محكمة العدل الدولية الإسلامية .

٦- مؤتمر المنصرين في كلورادو ١٩٧٨

بعد ذلك تأتي فهارس الكتاب التي تشغل ما يقرب من مائتي صفحة : (من ص ١٢٤٧-١٤٢٦) وهي هنا تأتي بالمعنى الصحيح ككشاف للكتاب وليس كقائمة المحتويات وتشمل فهرس الآيات القرآنية وفهرس الأحاديث والآثار وفهرس الأعلام وترجمتهم وفهرس المراجع .

وأنبه القارئ أن هذا العرض اختصار مخل لمحتويات الكتاب لأن الصفحات المتاحة في المجلة لهذه المقالة لا تكفي لعرض قائمة المحتويات فقط بل بالكاد تكفي نصف المحتويات .

أي جهد هائل بذله الرجل في هذا الكتاب؟

أي عقل موسوعي منحه الله له ..

أي ذاكرة فولاذية لا تفلت شيئا ..

في روايته الرائعة ذائعة الصيت "مائة عام من العزلة" يقول ماركيز أنه لولا مراجعة أصدقائه للرواية لتحولت إلى رواية هزلية بسبب ما فيها من مفارقات حيث كان الأبناء يولدون قبل الزواج .. والزواج قبل الخطبة ويتهدم البيت قبل أن يبنى أصلا .. ويموت البطل ثم يعود للعمل عشرة أعوام بعدها ينجب أثناءها وهو ميت !.. كل هذا في رواية واحدة. فكيف استطاع القرضاوي أي يسيطر على موضوعه هذه السيطرة الحديدية فلا يتناقض ولا يهتز .. ثم إنني في قراءتي السريعة لم أعثر حتى الآن على خطأ مطبعي واحد .

لقد شبه الشيخ الجليل كتابه هذا بكتابه عن فقه الزكاة وهو سفر هائل آخر للشيخ

الجليل، حصل به على درجة الدكتوراه عام ١٩٧٣، يقول الشيخ : وجدتُ من الواجب عليَّ أن أنهض للكتابة في هذا الموضوع، بعد أن شرح الله له صدري، فكم خطر في بالي منذ أنجزتُ كتابي (فقه الزكاة) أن أكتب شيئا مشابها في (فقه الجهاد) .. وكم طلب مني إخوة كرام منذ مدة أن أكتب في هذه القضية التي شرَّق الناس فيها وغرَّبوا، واعتذرت لهم بأني لا أجد في نفسي همة لذلك .. مع أني قد كنت كتبت فيه من قدَيم نتفا مبعثرة، في انتظار أن يحين الوقت للكتابة المنظمة المتصلة فيه، باعتباره أحد الموضوعات الأساسية التي لا بد من الكتابة المنهجية فيها، لحاجة المسلمين خاصة، وحاجة العالم عامة، إلى معرفتها معرفة حقَّة، بعيدة عن غلو الغالين، وتقصير المقصرين .

وينوه الشيخ إلى مراجعة الجماعات الجهادية لفقهه مستسلمة لآرائه حتى إنها راحت تنقل صفحات كاملة من فتاواه واجتهاداته التي كانت تدينها قبل ذلك .

والحقيقة أنني عاتب على الشيخ في هذا التنويه ..

فلا يعلى من قيمة الشيخ الجليل أن يقال أن الجماعات الإسلامية قد نقلت عنه .. فالعالم كله ينقل عن الشيخ ..

ولا يعلى قيمة الشمس أن نقول أن ضوءها أقوى من ضوء شمعة .. وكما يقول الشاعر :

ألم تر أن السيف ينقص قدره .. إذا قيل أن السيف أمضى من العصا

إن مراجعات الجماعات الإسلامية تشوبها الكثير من الشبهات ولقد علمنا ديننا ونبهنا شيخنا أن المتشابه يتجنب ولا يتبع .. لقد تمت المراجعات تحت إشراف الأمن وضغطه، لأناس ظلوا في الأسر عشرات الأعوام يتعرضون لتعذيب يعرف الشيخ ضراوته .. ولغسيل للمخ لا ينجو منه إلا من رحم الله وقد من الله على الشيخ الجليل أنه كان من الناجين بإذن الله لكنه يعرف كيف انهار البعض تحت وطأة التعذيب الجسدي والمعنوي حتى إن البعض طلب تغيير دينه والأخف وطأة ترك الصوم والصلاة بل ومارس بعضهم الشذوذ لإقناع أجهزة الأمن أنهم تابوا وأنابوا .

وأقصى ما يمكننا أن نفعله تجاه المراجعين المتراجعين هو أن نلتمس لهم المعاذير ونعذرهم بضعفهم الإنساني ..

لا أنكر إحساسي بالضيق عندما نوه الشيخ بذلك .. لكنني لم أتمالك نفسي من الضحك العريض عندما اتهموا هم الدكتور يوسف القرضاوي أنهم سبقوه فيما وصل إليه !! جزاهم الله خيرا .. فقد بلغ من أدبهم أنهم لم يتهموه مباشرة بالسطو على أفكارهم !!

ففي المصري اليوم ٢٠٠٩/٧/٢ يقول الدكتور ناجح إبراهيم (غفر الله له)، عضو مجلس شورى الجماعة الإسلامية : "إن طرح الدكتور القرضاوى بشأن الجهاد سبقت إليه الجماعة الإسلامية من خلال مراجعاتها لمفهوم الجهاد، وإن الجماعة تؤيد هذه الأفكار وترى أنها حصيلة جهد جهيد وفكر ناضج" .

●●●

الكتابان (فقه الزكاة وفقه الجهاد) حلقتان من سلسلة تزيد على عشرين كتاباً كتبها العلامة القرضاوي عن "الفقه وأصوله". وهي كتب تهدف جميعها إلى مواجهة الهجمة العلمانية الشرسة على الإسلام، والتي تهدف إلى إثبات عجز الفقه عن مواجهة العصر،

فيواجههم الشيخ الجليل ببحره الزاخر الهادر ليكونوا أمامه مجرد أطفال يتقلبون في الموج.

نعم كان الكتاب بحرا هائلا وكانت صفحاته أمواج ذلك البحر ..

لم أخض غمار البحر ولم أحط به كله ولم أغص إلى أعماقه ولا سبرت أغواره بعد (فذلك يحتاج لأسابيع وربما لشهور .. ذلك أن الكتاب يحتاج للدراسة لا للقراءة .. ولم أكن أستطيع الانتظار كل هذه المدة حتى أكتب عنه) .. ولقد ألممت به إلماما يكفيني للكتابة عنه واعدا القراء أن أكون كالغواص وأن أحاول كل مرة أن أعود إليهم ببعض لآلئ الأعماق .. وألا يمنعني ذلك من كشف بعض ما لا أوافق عليه .. فحتى اللؤلؤ درجات وفي بعضه عيوب .. فمنه أثمن ما يكون مثل "الجيون" و"الدانة" و"البكه" ومنه ما قيمته مشكوك فيها مثل "البدلة" و"الخشرة" .

●●●

لقد كتب الكثيرون عن الكتاب .. وكان أغلب ما كتب مديحا .. ولكن كان هناك البعض نحوا منحى آخر .. كأولئك الأطفال الذين تتشبث أصابع أقدامهم بذرات الرمال المبتلة مصرين على مواجهة البحر، وكان شيخنا في هذا الكتاب كما هو في سواه - البحر بأمواجه الهائلة !.. وكانت المواقف مسبقة .. فمن دأب على مهاجمة الشيخ هاجم الكتاب .. ذلك أن كثيرا من الناس ينظرون إلى من قال لا إلى ما قال .. وكثيرون منهم تتصلب عليهم اقتناعاتهم السياسية أو المذهبية كما تتصلب القواقع والأصداف على ما بداخلها .. بل إن بعضهم عملاء أجهزة استخبارات يسلطونهم لتشويه رموز معينة ترى فيهم السلطات خطرا .

يخيل إلي أن بعض هؤلاء الكتبة - ليسوا كتابا بالتأكيد - قطع شطرنج لكل قطعة منها وظيفة واحدة لا تستطيع أن تتحرك خارج إطارها .. فللعساكر واجب وللفيل واجب وللطابية واجب وللوزير واجب وليس للجميع من هدف إلا المحافظة على الملك. يدور الكل في إطاره وليس لهم أي هدف آخر .. أما جزاؤهم فهو ألا يلقي بهم خارج الساحة. وهكذا تراوحت التعليقات والأحكام على كتابات الشيخ .

والحقيقة أنني لم أقرأ حتى الآن نقدا جذريا أتعاطف معه وأحترمه .. هناك انتقادات جزئية ومعظمها تمس أمورا غير جوهرية ويبدو أن الدافع خلف معظمها هو الحصول على درجة الشهادة العليا .. شهادة : "الهجوم على القرضاوي" !!.. وأعترف أنها شهادة مغرية في الدنيا مهلكة في الآخرة !..

بيد أنني لم أستطع مواصلة القراءة في بعض التعليقات لأن درجة الإسفاف بالغة .. ومن ناحية أخرى فقد كان كل واحد منهم كفيلا بأن يغلبني.. بل وأن يغلب الشيخ الجليل نفسه .. ألم يقل الإمام الشافعي رضي الله عنه : ناقشني ألف عالم فغلبتهم ، وناقشني جاهل واحد فغلبني .

ليس معنى ذلك أن القرضاوي معصوم أو أنه فوق النقد .. فهناك قصور خطير ليس في في علم الفقه بل في مواءمة تطبيقه على الواقع .. وهناك نقاط جذرية وعميقة يمكن

توجيه الانتقادات إلى الشيخ فيها .. لكنه انتقاد يعترف للعالم الجليل بأستاذيته وموسوعيته .. كما أنه في بعض بنوده قد يكون أقرب للاستيضاح منه للانتقاد .

●●●

كثيرون ممن انتقدوا كانوا كالأطفال الذين تراءت لي صورتهم في بداية المقال ..

كان من الأطفال من هم أبرياء ومنهم قليلو الخبرة ومنهم شياطين إنس !.. واحد من شياطين الإنس هؤلاء كفّرني لأنني لم أكفّر شيخنا الجليل، وآخر هاجمني بضراوة منوها إلى أنني لست مخلصا في انتقاد بعض آرائه وفتاواه لأنني أعتبرها اجتهادا له عليه أجر وليس أجرين بينما يراها هو خروجا على الملة. أما ثالثهم فقد اعتبرني تجاوزت المحرمات عندما دعوت لشيخنا الجليل مرة فقلت : الشيخ القرضاوي رضي الله عنه فإذا به يفزع صارخا كأنني - معاذ الله - نطقت بكلمة الكفر .. فهدأته منتويا المكر به .. وأثناء انصرافه فاجأته بدعاء بالعامية :

- روح يا شيخ الله يرضى عليك ..

وانصرف الرجل ممتنا لدعائي له لكنني سرعان ما استرجعته قائلا له بمرارة :

تقبل الدعوة لنفسك وتستكثرها على شيخ شيوخ الأمة .. أليست "رضي الله عنه" هي : "الله يرضى عليك"..

وبهت الرجل !..

●●●

رغم إعجاب لا يحد بالشيخ الجليل فأظنني كنت واحدا من أكثر الذين انتقدوا بعض أفكاره، ولقد خشيت أحيانا أن أكون قد جاوزت حدود الأدب، ولقد عاتبني في ذلك أصدقاء أجلاء كثيرون على رأسهم الأستاذ الدكتور محمد جبريل رئيس قسم التفسير بجامعة الأزهر والأستاذ محمد يوسف عدس خبير اليونسكو السابق والكاتب الفذ والأستاذ الباحث الفلسطيني منير شفيق وهو أحد الدرر التي نفخر بها بعد تحوله من المسيحية إلى الإسلام .. أقول كدت أخشى أن أكون قد تجاوزت معه .. لكن رسالة منشورة في الشبكة العنكبوتية طمأنتني، كان صاحبها يهاجمني هجوما شديدا يصل إلى حد التشكيك في العقيدة، لأنني وإن كنت أدعي أنني أهاجم الشيخ القرضاوي فإنني أرفعه إلى مصاف الصحابة .. وكان هو يرى العكس .

قلت لنفسي إنني لم أجعله في صف صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. لكنني أحسبه ولا أزكيه على الله في مصاف إخوانه !..

●●●

هتفت من أعماقي وقد جاشت مشاعري :

يا لروعة الإسلام الذي يسمح لمثلي أن يواجه مثله !! فهو مهما كبر .. وأنا مهما صغرت .. مجرد عبدين لا يأمنان مكر الله حتى لو كانت إحدي قدمينا في الجنة .

وقلت لنفسي :

كل يؤخذ منه ويرد عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

●●●

سأترك الإشادة بالسفر الجليل لغيري، ولكنني - وكأنني سأرتكب إثما بمعارضة الشيخ في بعض ما كتبه في "فقه الجهاد" - أبادر بالإعلان عن أن الدكتور يوسف القرضاوي، - ولا أزكيه علي الله - عزيز علي قلبي، وقد بلغ من إعجابي بمنهجه أن ناشدته أن يعلن إعادة الخلافة كي ينقذ العالم

نحو وعى سياسى

الإسلامي من الهاوية التي ينحدر إليها، ورجوته أن يمد يده كي نبايعه، أو أن يبايع من يراه لنبايعه خلفه. وقد يعبر عن مشاعري تجاه الشيخ ومكانته في قلبي ذلك النداء الذي وجهته إليه عندما جرؤت طغمة الحثالة الفاسقة المسيطرة على مقاليد الثقافة في بلادنا ونشرت رواية فاسقة كافرة تجترئ على الذات الإلهية، حيث جاء في مقالتي (الشعب ٢٠٠٠/٤/٢٨) هذا النداء له :

"يا شيخ يوسف القرضاوى .. إن الأمة الإسلامية تضعك شئت أم أبيت على رأس العلماء، المجاهدين المجددين على مستوى العالم الإسلامي بأسره، وترى فيك شئت أم أبيت واحدا ممن يبعثهم الله لتجديد شباب هذا الدين .. يرون ذلك فيك .. رغم أن سلطات بلدك نفسها أنكرتك .. بل واعتبرتك إرهابيا .. فالإسلام بالنسبة لهم هو الإرهاب.. والقرآن هو المستهدف .. والذين أنكروك هم الذين ينشرون أن القرآن خراء .. وأنت تعلم أن الأزهر قد اختُرِق .. وأن المقاومة فيه إما محاصرة وإما مقموعة وإما مفصولة .. أصبحنا بلا دفاع .. والأمة ترى فيك بديلا .. الأمة ترى فيك ذلك فلا تخذلها .. وهذه معركة مفروضة عليك .. ولعل القتال يكتب فيها عليك وهو كره لك .. ولعلنا مثلك .. كنا نتمنى أن نموت قبل أن تفرض علينا هذه المعركة .. أما وقد فرضت فنحن نتمنى أن نموت فيها .. فلا تخذل الأمة .. دافع عن القرآن بما أنت له أهل .. إن الأمة تنتظر فتواك في كل مسئول عن نشر هذا الكتاب في بلد الأزهر..كل مسئول .. من الخفير .. إلى الوزير .. إلى الأمير ..

لا ..

ليس فتواك فقط ..

بل إن الأمة تنتظر منك حملة شاملة على مستوى الهيئات الإسلامية في العالم الإسلامي كله ..

أصرخ فيك ..

أنت بعيد عن مصر بعد أن أنكروك .. أنكروك فاحتضنك العالم الإسلامي قرة عين ومهجة قلب وفلذة كبد وومضة عقل .. لكنك بعيد عن مصر .. ولعلك تظن أنها مازالت بخير ..

أهتف فيك : مصر لم تعد بخير.. مصر لم تعد بخير .. مصر لم تعد بخير ..

فالنجدة النجدة والغوث الغوث ..

فإنه القرآن .."

●●●

كما أنني في مواجهة هجومي العنيف عليه دفاعا عن الشهيد سيد قطب قلت : لو أن قائلا قال لي أن الشيخ يوسف القرضاوي أعلم أهل الأرض الآن لما استنكرت .. ولو أن سائلا سألني من هو أقرب علماء أهل الأرض إلي قلبك لكان اسمه في السطر الأول .. ولو أننا صنفنا العلماء المعاصرين بغزارة الإنتاج لنافس شيخنا علي المركز الأول بجدارة، بل وأظننا لن نجد من يطاوله .. ولو أننا اعتمدنا القيمة والاعتدال والوسطية لكان *الرائد* بلا منازع .

●●●

كما أنني لن أمل أبدا من تكرار ما حدث

في دعوة مستجابة بصورة مذهلة ذكرتني بأبي جهل عندما أراد بالرسول - صلى الله عليه وسلم - سوءا فإذا به يرى فحلاً من الإبل أمامه فاغراً فاه، وخيل إليه أنه سيأكله .. جل الرسول صلى الله عليه وسلم عن التشبيه لكن الشيء بالشيء يذكر .

ولقد كان الحدث تثبيتا لقلبي حيث أراني الله سبحانه وتعالي آية من آياته ودليلا باهرا علي مكانة الشيخ عند ربه إن شاء الله .. كان ذلك منذ نيف وعشرة أعوام .. وكنت قد كتبت مقالا حادا في صحيفة الشعب يوم الجمعة، وفي المساء، اتصل بي رئيس تحرير إحدى الصحف، ليخبرني أنه علم باتصالاته أن كواليس السلطة غاضبة جدا من مقالي، وأن إجراء ما سيتخذ ضدي هذه الليلة .. وقلت له : لقد تأخروا كثيرا .. فأنا أنتظرهم منذ عشرة أعوام .

قبيل منتصف الليل جاءتني المكالمة المتوقعة :

- ليتك تشرفنا الآن خمس دقائق علي فنجان من القهوة .

وكان المتحدث ضابطا بمباحث أمن الدولة

ولأسباب ليس هذا مجال ذكرها وجدت نفسي ميالا إلي السخرية فأجبت الرجل بما لا يتوقع حين قلت :

- لكنني لم أتعود علي شرب القهوة ليلا، ثم إن الوقت الآن لا يناسبني، لذلك أعتذر عن تلبية دعوتك !!..

دهش الرجل، وارتبك لإجابتي التي لم يتوقعها، ودار حوار، واتفقنا علي موعد في الصباح، فأدركت أن الأمر لن يصل إلي اعتقال، وفي اللقاء حرصت كما أحرص كلما أتيحت لي الفرصة أن تصل وجهة نظري للمسئولين، طلبت منه أن ينقل للوزير أن ثمة اختراقا هائلا في العالم العربي كله بما فيه مصر ، وأن أجهزة الأمن تبدو كما لو كانت تنفذ مخططا غربيا لهدم الأمة، ولسلب روحها، وكان الضابط يسمع حديثي علي مضض شديد، وتطرق الحديث إلي موقف أجهزة الأمن الشاذ من فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي، وبدا كما لو أنه أراد أن يثأر مني، فانطلق بسباب قبيح لفضيلة الشيخ، وغضبت بشدة، ودافعت عن الشيخ الجليل، لكنني كنت عاجزا عن استعمال نفس ألفاظ السباب التي استعملها الضابط .

وأثناء انصرافي كان صدري يتأجج بالغضب، وعلي باب الشعبة وقفت لحظة، وتوجهت إلي السماء :

- اللهم لقد اعتدي علي ولي من أوليائك فرد عنه.. اللهم لقد أغاظني فأغظه ..!!

بعد أسبوع واحد، كان الضابط يفصل من مباحث أمن الدولة في وقائع صارخة .. وينقل إلي فرق الأمن في مكان قريب من حلايب ..!!

وبعد ستة شهور قابلته مصادفة فلم أعرفه، كان وزنه قد انخفض من مائة كيلوجرام إلي خمسين كيلوجراما، وكان الله قد دافع عن ولي من أوليائه وآذن المعتدي الأثيم بالحرب .. وقد أذله ..

لا أريد أن أسترسل لأنني لا أريد أن أسيئ لأشخاص بعينهم حتى ولو كانوا ضباطا بمباحث أمن الدولة .. ولكنني أضيف أنه يكفي للتنكيل بأي ضابط عدم رضاء رؤسائه المباشرين عنه .. أما بالنسبة لهذا الضابط فقد كان الأمر مروعا حقا .. لقد اجتمع مجلس

الأمن القومي (أقوى ستة وزراء في مصر) لاتخاذ قرار فصله من أمن الدولة. كانوا هم فحل الإبل الذي التهم الضابط الذي أساء إلى الشيخ !

وأضيفت هذه الواقعة إلي رصيد هائل للشيخ في قلبي ..

●●●

أعترف أنني أحب الشيخ حبا يملك عليَّ نفسي والله على ذلك شهيد .. حب لأنني أدرك دوره الهائل في نصرة الإسلام وأدرك شموخه وعلمه وموسوعيته واجتهاده أدرك أدبه ويعجبني ولكن لا يفتنني شعره !- كما أستعيد في ألم هائل كيف أوذي في سبيل الله وكم عذب وجلد بالسياط وروِّع- لقد بكيت وأنا أقرأ مذكراته - وما يزال الطواغيت حتى الآن يسيئون معاملته .. من يتخيل يوسف القرضاوي الهائل يوقف في مطار بلاده مع المشتبهين !! ولولا أن رأس نبي أهديَ إلى بغيّ ما احتملنا !!.. ذلك كله يتعلق بالشأن العام .. لكنني- على المستوى الخاص - أحبه كأنه أبي. وأخشى عليه كما كنت أخشى على أبي عليه رحمة الله .

كان توهج الشيخ ولمعانه في كتابه الأخير "فقه الجهاد" مخيفا لي !.. فقد خشيت أن يكون فصل الختام فاغرورقت عيناي بالدموع وأنا أراه بعين الخيال قد صدّر الكتاب قائلا : هذا آخر عهدي بالدنيا وأول عهدي بالآخرة. وداهمتني الكآبة حتى تذكرت ما صرح به الشيخ أخيرا عن مشروع كتابيه القادمين .

قلت لنفسي لعل الله ينظر من عليائه إلينا فيرحمنا .. وأن يتجلى الكرم الإلهي ويفيض علينا بأن يطيل الله عمر شيخنا حتى ينجز مشروعه .. تذكرت مقولة خالد محمد خالد أن لله عبادا إذا أرادوا أراد .. لكنني أقولها في العلامة الجليل الشيخ يوسف القرضاوي وليس في اللواء حسن أبو باشا كما فعل خالد محمد خالد .. غفر الله له .. (لبعض إخواننا الذين قصدهم شيخنا الجليل بكتابه أقول أن عبارة - إن لله رجالا إذا أرادوا أراد- ليست عبارة شركية : راجع تفسير العلامة / محمد رشيد رضا في مجلة المنار (١٥/٥٦٧ وما بعدها) (عدد شعبان ١٣٣٠هـ) وكذلك د محمد راتب النابلسي) .

المشروع الثاني للشيخ هو كتابة تفسير القرآن .. يقول الشيخ : أريد أن أنجز تفسيراً للقرآن على هامش المصحف على طريقة "تفسير الجلالين"، بحيث لا يستغرق مني أكثر من سنتين، وهو تصور أريد الانتهاء منه قبل رحيلي من هذه الدنيا .

أما المشروع الأول فقد شكل مفاجأة لي .. يقول الشيخ :

أستعد في الأيام القادمة لتأليف كتاب في السيرة النبوية بالأسلوب الموضوعي وليس الحدثي، بمعنى أنني لا أريد سرد أحداث، ولكن أريد التركيز على مواقف ظهر فيها الرسول صلى الله عليه وسلم كداعية، وكقائد، وكأب، وكجد، وكزوج، وهكذا بشكل تفصيلي.

أسقط في يدي ..

إذا كانت الشمس ستطلع الآن فما جدوى أن أشعل شمعة .. وإن كان الشيخ سيكتب

في السيرة فعلينا أن نصمت ونتعلم لا أن نكتب.

لقد كانت هذه المفارقة سببا في عجزي عن كتابة حلقة هذا الشهر من : "في ظلال السيرة"..

أما الجزء الثاني من المفارقة فهو في المنهج الذي قال شيخنا الجليل أنه سيتبعه .. ذلك أنني كنت أفكر في منهج قريب جدا من هذا .. ولطالما تحاورت مع شيوخي وأصدقائي في ذلك المنهج .. كان البعض يريد المنهج العلمي الصارم مع الاعتماد على الأحاديث الصحيحة فقط وإهمال روايات المؤرخين ..

وكان من رأي شيخنا وأخي في الله الأستاذ الدكتور محمد جبريل أن أكتبها بسجيتي وأن أدعها تنطلق كالرصاصة أو القنبلة بنفس الروح التي كتبت بها مقال "من يبايعني على الموت" .. وكنت أقول لهم موجزا الأمر أريد أن أكتبها بطريقة القصة القصيرة لا بطريقة الرواية .. والأمر لا يتعلق بالطول والقصر .. ولكن في القصة القصيرة يختار الكاتب لحظة مكثفة جدا ثم يبدأ في الاقتراب منها لتتضح معالمها ومع كل اقتراب تكبر حتى تصبح عالما بأسره .. وفي خلال ذلك يستدعي باقي التفاصيل التي قد لا تحفل بها الرواية .. وقلت لهم إنني لا أريد أن أسرد تاريخا ولن أتعقب الأحداث حدثا بعد حدث .. بل سأبدأ بالوحي ثم بالإسراء والمعراج ثم بالهجرة ثم بدر وأحد والخندق وفتح مكة وحنين والوداع وأن هذه قد تكون عناوين الفصول المتتابعة .. وإنني سأحاول أن أصل هذه الأحداث كي يكتمل السياق كله .

لكن الآن .. ماذا أفعل ؟!..

كيف أجرؤ على مواصلة الكتابة وشيخنا وأستاذنا سوف يكتب فيها ..

لقد قال الشافعي رحمه الله (الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة)

وقيل عن الخطيب البغدادي بأن كل من جاء بعده في علوم الحديث فهم عيال على كتبه.

أما أنا فأقول : كلنا عيال على العلامة القرضاوي ..

وفي أي واقعة تجعلني في رحابه فسوف أؤثره على نفسي ..

ولقد تذكرت ضاحكا الواقعة المهزلة - للشيخ الصباحي رحمه الله عندما شارك في انتخابات الرئاسة فأعطى صوته للرئيس مبارك !.. قلت لنفسي أننا انتقدنا الجانب الفكاهي في الواقعة .. لكنني يمكن أن أفعلها مع الشيخ فأختاره على نفسي بل وأفديه بها .. لكنني حين أفعل ذلك إنما أفعله حقا وصدقا وإيثارا وفداء ..

●●●

وثمة واقعة ساخرة أخرى أوقعني فيها حبي للشيخ .. فبعد تشعب العائلة وضمور العلاقة بين الجذور والفروع كان عليّ أن أبحث عن مقبرة في القاهرة .. وفوجئت بتجارة غريبة جدا في المقابر القديمة هي تجارة المقابر المسروقة! إذ ينتقي السماسرة المقابر التي يقل التردد عليها فيبيعونها لآخرين .. قلت للبائع وقد استبدت بي الدهشة: حتى اللصوص الذين يقضون أعمارهم في السرقة يحرصون على دفنهم في مقبرة حلال من حر مالهم .. فهل تريدني وقد عافاني الله من المال الحرام أن أدفن في مقبرة مسروقة ؟! ونصحني العليمون ببواطن الأمور أن ألجأ إلى البحث في الضواحي .. وفي إحداها وكانت إعلاناتها تملأ

الصحف ويملكها أحد أقطاب الحزب الوطني وجدت البائع يغريني بوجود مقبرة خالية بجوار مقبرة عائلة الدكتور يوسف القرضاوي. كان الجدار في الجدار !.. ولم أتردد .. تعاقدت على المقبرة فرحا وكأنني أشترى قصرا في الجنة! (رغم أنني أتبع منهجا صارما جدا يجعلني أدرك أن أبا جهل وأبا لهب مدفونان في مكة وأن عبد الله بن أبي مدفون في المدينة بجوار الصحابة والشهداء وأن المكان لا يعني شيئا).

تعاقدت فورا رغم شعور قوي يخامرني بأن الشيخ الجليل سيدفن بعد عمر طويل - مع أستاذه وتلميذه (!) الشيخ الجليل محمد الغزالي في معية الرسول صلى الله عليه وسلم. اشتريت المقبرة لأكتشف بعد ذلك أنني ضحية لعملية قد تكون نصبا واحتيالا وقد تكون صراع حيتان. كان المشروع الذي جمع الملايين وهميا .. وعرض علينا قطب الحزب الوطني الكبير أن نتسلم مساحة المقبرة أرضا فضاء لنقيم عليها مشروعا تجاريا (!) حيث إنه لم يحصل على الرخصة اللازمة.

ولمت نفسي قائلا : لماذا لم تتنبه من البداية أن مالكها من أقطاب الحزب الوطني .. لقد هربت من شراء مقبرة مسروقة لأسرق أنا في مدينة المقابر تلك !. ثم قلت لنفسي : لم تسرق مقبرتك فقط .. راجع الأمر جيدا واحصر ما سرق منك فنحن في عهد تسرق فيه المقابر والأصوات والأوطان والمناصب .. كادوا أن ينتهوا من بيع الدنيا ويحاولون مد نشاطهم لبيع أبواب الآخرة !..

●●●

لكن حبي للشيخ لم يمنعني من انتقاده بمرارة وحدة في مواقف عديدة منها فتواه عن أفغانستان وموقفه من الشهيد سيد قطب، وكذلك من القاعدة والشيخ أسامة بن لادن والملا عمر .

ولن يمنعني أيضا من مواجهة الموج الهادر هذه المرة !

●●●

لقد كنت دائما متوجسا أشد التوجس من أي اجتهاد فقهي في ظل الهجمة العلمانية الصليبية اليهودية الكافرة على الإسلام .. وكنت أخشى أن يتم التسلل خلال الاجتهاد لهدم الإسلام من داخله. والقوم لم يخفوا أمرهم .. وما الفرقان الأمريكي ببعيد .. وما إمامة النساء ببعيد .. بل لقد وصل الأمر إلى أن بعض مساجد الضرار في الولايات المتحدة الأمريكية تنادى الآن بإباحة الشذوذ بحجة أن المنع في فعل قوم لوط هو الاغتصاب قهرا لا الفعل نفسه فإذا تم بالتراضي فلا تثريب .

من أجل هذا كنت مرعوبا من الاجتهاد رعبي من إجراء عملية جراحية في غرفة عمليات ملوثة .. فمهما كانت براعة الجراح قد تتسلل الجراثيم لتقتل المريض أو تصيبه بعاهة. كنت مدركا أننا في جو حرب وحصار .. وأن فقه الجمود هو الأولى بالاتباع .. فقه التخندق والسكون .. لأننا لو خرجنا من الخنادق ستقتلنا القنابل والنابالم .. لكن .. من الناحية الأخرى كنت مدركا أن البقاء في الخنادق فترات طويلة سيقتلنا صبرا !.. السكون قد يكون مميتا والحركة قد تكون مميتة

وبين الموت والموت كان الهم يقتلني !..
على المستوى النظري كنت أنظر في انبهار إلى عبقرية الإسلام وقدرته على البقاء أبدا لثبات شريعته وتغير فقهه .. وربما تجاوزت في نظر بعض إخواني السلفيين في ترك باب الاجتهاد مفتوحا دون حدود للثقة بلغتها منزلة الاجتهاد .. حتى تلك الاجتهادات التي تبدو غريبة بشرط أن تأتي من عالم ثقة مثل الشيخ محمد أبو زهرة، أحد كبار علماء الأزهر الراحلين، والذي كان يرى أن رجم الزاني المحصن كان شريعة يهودية، أقرها الرسول في أول الأمر، ثم نسخت بحد الجلد في سورة النور .. وتلك الفتوى الأخرى ولا أذكر الآن من قائلها والتي تقول أن قطع اليد في حد السرقة ليس هو البتر (مستشهدا بـ: فقطعن أيديهن) .. أقول إنني فكريا لا أرفض مناقشة أي فتوى من عالم ثقة مهما بلغ شذوذها (وفرق بين المناقشة والقبول) لكنني في الوقت نفسه أدرك أن فتح هذا الباب في زمن الفتنة قد يأتي ببلاء كبير، وعلى هذا فقد استقر رأيي على ضرورة إغلاق باب الاجتهاد في زمننا الراهن (ألا يكفيكم شيخ الأزهر ومفتي الديار دليلا؟!) .

●●●

في هذا السياق جاء كتاب الدكتور (وأحب أكثر أن أقول الشيخ) يوسف القرضاوي الأخير ..
والشيخ القرضاوي استثناء لا يقاس عليه وما لا يباح لسواه يباح له ..
لكننا في الوقت نفسه يجب ألا نغفل أبدا عن أنه بشر يخطئ ويصيب .. وأن علينا أن نأخذ منه ونرد .
ولقد ذكرني كتاب فقه الجهاد بابن الأثير في وصفه لمعركة حطين حيث يقول عن الصليبيين : وانتصر صلاح الدين الأيوبي في معركة حطين، وكانت معركة عظيمة لم يسمع بها إلا في زمن الصحابة والتابعين، فمن رأى الأسرى قال : ليس هناك قتيل، ومن رأى القتلى قال : ليس هناك أسير .. وكذلك كتاب فقه الجهاد .. قد تتحمس له فلا ترى فيه ما تختلف فيه مع الشيخ الجليل وقد تتغير زاوية الرؤية فنختلف معه في الكثير .
للوهلة الأولي يبدو الكتاب صوابا كله .. ويبدو نتاج عقل موسوعي وقريحة فذة وذاكرة مذهلة ونور سابغ من الله عليه .. لكن مع القراءة المتأنية تبدو ثغرات قد تدفع المتعجل للشطط في الحكم ضد الكتاب.
العبقرية الفذة تجعل الكتاب كأنه يقرأ خواطرك .. فما إن تخطر لك فكرة حتى تجد الكتاب يرد عليها .. ثم إن المنهج الصارم الذي اتبعه الشيخ جعله يورد جميع الآراء قبل أن يقول رأيه .. بدرجة تجعل من قبيل المستحيل تقريبا ألا يكون رأي القارئ ضمن واحد من تلك الآراء .
ولست ندا للشيخ كي أقارعه حجة بحجة. وما أنا إلا تلميذ صغير له .. لكنه تلميذ تعلم من شيخه أن يصدح بما يعتقد أنه الحق .
إن الكتاب يبدأ بداية صاعقة تجعل من يسمونهم بالمتطرفين أو المتشددين - مع التحفظ على أسماء ما هي إلا أسماء سميتموها - لا يملكون إلا التأييد .. يقول الشيخ :
فإن موضوع الجهاد في الإسلام من أعظم الموضوعات خطرا وأبعدها أثرا لما له من قيمة وأهمية في الحفاظ على هوية الأمة والدفاع عن كيانها المادي والمعنوي .. وعن أرضها

نحو وعى سياسى

وأهلها وعن رسالتها التي هي مبرر وجودها وبقائه .. وهي رسالة الإسلام .. وبغير الجهاد يصبح حماها مستباحا، ودم أبنائها رخيصا رخص التراب، وتغدو مقدساتها أهون من حَفنة رمل في صحراء، وتهون الأمة عند أعدائها، فيتجرأ عليها الجبان، ويتعزَّز عليها الذليل، وتُغزى الأمة في عُقر دارها، ويتحكّم أعداؤها في رقابها، فقد نزع الله من صدور عدوها المهابة منها، بعد أن كانت تُنصر بالرعب على أعدائها مسيرة شهر .

هذا أمر محكم لا خلاف عليه .. ولكن .. قد يكون ثمة التباس في موضوعات أخرى .

ولنضرب مثلا على أحدها .

ففي المقدمة يتحدث شيخنا الجليل عن موقف الناس من الجهاد ويقسمهم إلى ثلاث فئات فيقول عن الفئة الأولى : فئة تريد أن تُهيل التراب على الجهاد، وأن تسقطه من حياة الأمة، وأن تجعل أكبر همِّها ومبلغ علمها: أن تربي الأمة - كما تقول - على القيَم الروحية، والفضائل السلوكية، وتعتبر هذا هو (الجهاد الأكبر) : جهاد النفس والشيطان .

أما عن الفئة الثانية فيقول : فئة فهمت الجهاد على أنه (قتال العالم كله) : مَن حارب المسلمين أو وقف في سبيل دعوتهم، أو فتن المسلمين في دينهم ... ومَن ألقى إلى المسلمين السلم، ومدّ يد المسالمة والمصالحة للمسلمين، فلم يَشهر في وجوههم سيفا، ولم يظاهر عليهم عدوا. فكل الكفار عند هذه الفئة سواء في وجوب مقاتلتهم إذا كان المسلمون قادرين، فالكفر وحده سببٌ كاف لقتال غير المسلمين !

أما عن الفئة الثالثة التي يمثلها الشيخ فيقول : هي (الأمة الوسط)، التي هداها الله إلى الموقف الوسط، وآتاها العلم والحكمة، ورزقها البصيرة في فقه الشرع، وفقه الواقع، فلم تقع في تفريط الفئة الأولى التي تريد للأمة أن يبقى حقها بلا قوة، ومصحفها بلا سيف، وأن تبقى دارها بلا حُرَّاس، وحرماتها بلا حُماة .

جميل جدا .. والدواء صحيح إذا صح التشخيص.. والتشخيص صحيح إذا صدقت الأبحاث .. والأبحاث صحيحة إن صدقت الأعراض والشكوى .. ولكن فقدان إحدى عناصر المنظومة يجعلها تنهار .

كل ما أتي بعد وضع تقسيم الفئات الثلاث صحيح .. ولكن هل يظل صحيحا لو رجعنا قبل هذا التقسيم .. لو سألنا ما الذي أدى إلى هذا التقسيم ؟

لماذا انفرطت الأمة شيعا وأحزابا .

بل إنني أذهب لأبعد مما ذهب إليه الشيخ.

إنها ليست ثلاث فئات.. بل ثلاثمائة وربما ثلاثة آلاف !..

دعوني أضرب لكم مثلا ..

لنفترض أنه قد جاء من سد المجرى الرئيسي لنهر النيل وردمه بالطين والأحجار .. ماذا سيحدث عندما يفقد التيار الرئيسي مجراه الطبيعي. ستفيض المياه في غير مسارها لتغرق أو تركد أو تأسن تتعفن .. وستنمو فيها الحشرات والأفاعي والأسماك المتوحشة. ولم تكن هذه لتنمو في تيار النهر الرئيسي ولم تكن لتنمو إلا بعد الخلل المتعمد

في التوازن الطبيعي .. أليس كذلك .. لكن المشكلة هنا ليست مشكلة النهر بل مشكلة من سد النهر .. لا تسل البرك ولكن سل من سد المجرى .. فتسبب في هذا التشرذم .

دعوني أضرب لكم مثلا آخر ..

هبوا أن هناك مريضا .. مرضه خطير .. وقد جئنا له بأبرع طبيب في العالم .. طبيب هو في الطب بمنزلة شيخنا الجليل في الفقه.. وقد بذل هذا الطبيب كل ما يستطيع لعلاج المريض .. وكان التشخيص صحيحا والعلاج صحيحا .. وكان المفترض نظريا - أن يُشفى المريض .. لكنه لم يُشفَ .. بل أشرف على الموت .. هل تعلمون لماذا ؟ .. لأن هناك شخصا مجرما كان يحقن المريض بمواد تمنع تأثير العلاج وتعادل كيماوياته وتفسد مفعوله .. وكان فضلا عن ذلك يحقنه بمواد سامة.. فهل كان يجدي أي علاج إضافي ؟.. هل كان يجدي مضاعفة جرعة العلاج .. أم أن الحل كان مختلفا تماما .. كان يجب أن يكون مختلفا .. ولم يكن مجاله الطب، بل أجهزة مكافحة الإجرام والقبض على المجرمين .

إنني أستعيد قصة الفيلم الأمريكي الشهير (كوما) أو الغيبوبة .. عندما كان مدير المستشفى ورئيسها .. وهو الشخص المؤتمن على المرضى .. هو بنفسه اللص والمجرم والقاتل الذي يتعمد قتل المرضي لكي يتربح من بيع أعضائهم .. لذلك كانوا يتعمدون إدخال المرضي في حالة غيبوبة أو موت إكلينيكي حتي يتمكنوا من بيع أعضائهم .. لو أن شيخنا القرضاوي كان أبرع الأطباء وكان هناك .. فكيف كان يمكن أن ينجح ..

ولا داعي أن نفسر الرموز!

●●●

الذي ينتقده شيخنا الكبير في كتابه الجليل ليس هو الفعل بل رد الفعل ..

هل كان يمكن أن يحدث في مصر - على سبيل المثال - ما يحدث الآن لو أن التيار الرئيسي الوطني كان يقوده علماء من نوع الشيخ محمد الغزالي والشيخ يوسف القرضاوي والشيخ جاد الحق ..

بل إنه يمكننا أن نطرح السؤال بصورة أخرى لنقول : أليس طبيعيا هذا التشرذم مادام أمثال الشيوخ الرسميين الحاليين يتصدرون الساحة الدينية ؟!

●●●

يقول شيخنا الجليل :

لقد تبنينا في هذا الكتاب - كما في كل كتبنا وبحوثنا - المنهج الذي وفقنا الله إلى اختياره وترجيحه في الدعوة والتعليم والإفتاء والبحث والإصلاح والتجديد، وهو : منهج الوسطية والاعتدال ....

ومن معالم هذا المنهج في الفقه والفهم والاجتهاد : أن نجدِّد الدين من داخله، وأن نجتهد لحياتنا وعصرنا، كما اجتهد أئمتنا السابقون لحياتهم وعصرهم، وأن نستمدَّ من حيث استمدُّوا، وأن نفهم النصوص الجزئية في إطار المقاصد الكلية وأن نردَّ المتشابهات إلى المحكمات، والظنيات إلى القطعيات، والجزئيات إلى الكليات، وأن نشدِّد في الأصول ونيسر في الفروع، وأن نلائم بين ثوابت الشرع ومتغيرات العصر، وأن نصل النقل الصحيح بالعقل الصريح، وألا نتعصَّب لرأي قديم، ولا نتعبَّد لفكر جديد، وأن نتمسك بثبات الأهداف، ومرونة الوسائل، وأن ننتفع بكل قديم نافع، كما نرحب بكل جديد صالح، وأن نستلهم الماضي، ونعايش

نحو وعى سياسى

الحاضر. ونستشرف المستقبل، وأن نلتمس الحكمة من أيِّ وعاء خرجت، وأن نعرض ما عند غيرنا من منجزات على ما عندنا من قيَم، فنأخذ ما يوافقنا، ونَدَع ما لا ينفعنا .. الخ .

لا نختلف مع الشيخ أبدا .. لكننا نتساءل : هل هذه هي القضية الفقهية الملحة؟ هل النقص في الفقه النظري هو سبب الانهيار .. أم أن خلل الواقع هو السبب ؟..

يقول الشيخ إن فهم الواقع وتصوره تصورا صحيحا هو أساس الفتوى الصحيحة ..

وربما يكون هذا هو الباب الواسع الذي أستطيع المرور منه .. فلا أحد منا يستطيع مقارعة الشيخ في الفقه لكننا نستطيع الاختلاف معه في فهم الواقع .

إن الشيخ نفسه يعلمنا بمنهجه التطبيقي ألا نهاب تخطئة الكبار .. انظروا إليه مثلا وهو يخطئ الألباني وهو من هو :

.. "فمثلا هناك في موضوع فلسطين بعض الآراء الشاذة، مثل قول الشيخ الألباني بوجوب هجرة أهل فلسطين من أراضيهم والسياحة في العالم بسبب الظلم الواقع عليهم من اليهود في أرضهم مستشهدا بالآية : "إنَّ الَّذينَ تَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ ظَالمي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفينَ في الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ الله واسعَةً فَتُهَاجِرُوا فيهَا". وهذا رأي شاذ لا ينسحب على وضع أهل فلسطين، فالأرض أرضهم من قديم الأزل، وقد استولى اليهود عليها، ومن ثم يجب الثبات في الأرض والمقاومة بشتى السبل، حتى ولو تحولت الأرض كلها لمقبرة لا يخرج منها أبدا .

وأنا أعتقد أن مثل هذه الفتاوى نابعة عن سوء فهم للواقع، ومن ثم تصويره على غير حقيقته، وإذا أسقطنا الأمر على قضية الصلح مع إسرائيل، فالواقع يقول إن الصلح وتوقيع الاتفاقيات معها يعد اعترافا ضمنيا بشرعية احتلالها لأراضي المسلمين، والصلح أيضا يقضي على حقنا في المطالبة باسترداد هذه الأراضي، وهو أمر لا يجوز شرعا" .

بل إن الشيخ نفسه - جزاه الله خيرا يشير إلى بعض أوجه النقص في كتابه فيقول :

"وأعتقد أن جزءاً من اللبس واللغط في فهم كتابي "الجهاد" جاء بسبب عدم تفصيلي لمسألة الصلح مع إسرائيل شرعا، والمناقشات المعمقة التي قمت بها مع إخواني العلماء في تلك القضية، فهي التي كانت ستحرر المسألة فقهيا على الوجه الأمثل، ولكني اكتفيت بإشارات بسيطة على عدم جواز الصلح مع إسرائيل، ولذلك قررت أن أضع هذه المسألة تفصيليا والمناقشات المتعلقة بها في ملاحق تصدر مع الكتاب في طبعته الثانية بإذن الله؛ لأن التغيير في المتن قد يفرز مشكلا آخر" .

ولقد كان الشيخ بذلك يرد على ما ادعته "المصري اليوم"زورا وبهتانا من أنه يستثني الدول الموقعة على اتفاقات مع إسرائيل من تحرير فلسطين .

ويستطرد الشيخ قائلا :

والإسلام يوجب التضامن للدفاع عن أرض الإسلام، ويعتبر ذلك من أقدس أنواع الجهاد، كما يعد من قتل في ذلك شهيدا، وإذا هجم العدو على بلد من بلاد المسلمين، أو خيف

هجـومـه، وبدت بوادره وهذه الحـالة تُسـمَّى (النفير العام)، وهو : أن يُحتاج إلى جميع المسلمين عند دخول الكفار واحتلالهم لأرض إسلامية، أو تهديدهم لها - وتوقع خطرهم عليها - فلا يكتفي ببعض المسلمين من أهل هذا البلد عن الآخرين، بل يهبُّون جميعا لمقاومة الغزو، بحسب الإمكان، كل بما يقدر عليه، ولا يجوز لقادر التخلُّف عن المشاركة في المقاومة .

●●●

سوف أسلم تماما عن رضا واقتناع بقيمة الجهاد المدني وهو مصطلح كان الشيخ هو أول من صكه - .. لكن .. هل يسمح الواقع بهذا الجهاد المدني ؟

سوف أقتنع تماما بأن خطبة الجمعة من أهم وسائل التثقيف وتعليم الناس دينهم ومجاهدة الحاكم الظالم ..

لكن ..

أي خطبة جمعة ؟

التي تكتب في مقار الأمن ..

الخطب التي تأمـر بالمنكر وتنهى عن المعروف وتشهر بالمجاهدين وتجرم الجهاد ؟

لقد هتفت في نفسي مرة وأنا أستمع إلى خطبة الجمعة :

- الحمد لله أنني لست فقيها وإلا لأفتيت للناس بإلغاء ركن الخطبة من صلاة الجمعة ..

ولم أملك بعد شجاعة شيخنا الكبير محمد متولي الشعراوي الذي قرر ذات مرة مغادرة المسجد أثناء الخطبة والاكتفاء بصلاة الظهر .

الفتوى صحيحة تماما .. لكن الواقع مختلف جدا .

هل تعلم يا شيخنا ماذا يفعلون بشيوخ المساجد الذين لا يتبعون تعليمات الأمن ؟

إنهم يعذبونهم تعذيبا شديدا ..

بل لقد نشرت الصحف عمن اشتكى منهم من هتك عرضه .

أنت تعرف يا شيخنا ما فعلوه بالشيخين الجليلين الشيخ فوزي والشيخ نشأت .. وتعرف كيف حاصروا الشيخ كشك حتى مات وكيف يمنعون الشيخ المحلاوي .. أولئك يحاصرون ولا يسمح إلا لأمثال جمال البنا .

إن الطريق إلى المنبر مفتوح تماما للجاهلين .. وكلما قل الجهل وزاد العلم أصبح الطريق إلى المنبر محفوفا بالمخاطر ،

أسألك يا شيخنا :

كيف يؤدى المسجد دوره ورواده يوضعون في قوائم الاشتباه ؟

انظر يا شيخنا مثلا ردود أفعالهم على انفلونزا الخنازير .. لم يفكروا إلا في الحج والعمرة وصلاة الجمعة .. لم يفكروا في زحام المواصلات .. ولا في دور السينما والمسرح .. ولا مباريات الكرة .. ولا في الاحتفال بالعذراء .. فقط : الحج والعمرة وصلاة الجمعة .. الرغبة الصليبية اليهودية الدفينة في إلغاء الحج والعمرة وصلاة الجمعة .. أول ما اشترطوا على أتاتورك فعله .

نحو وعى سياسى

ولعلك تذكر يا شيخنا أنهم لم يكفوا أبدا عن طلب تحجيم العمرة والحج لتوفير العملة الصعبة ..

ترى :

ماذا يفعلون بنا إن طلبنا وقف السفر إلى إسرائيل .

●●●

وثمة جزء آخر بالغ الأهمية لكن المساحة المتاحة لا تتسع له هذه المرة ..

لقد كان فصل مقاومة الردة بالغ الأهمية.

لكننا ما ارتوينا ..

لم نعرف على سبيل المثال رأي الفقه في العلماء الذين يرون في الحاكم كفرا بواحا ولكنهم يصمتون .

ولم نعرف موقف الأمة إذا ما أفتى العلماء بكفر حاكم .. ومدى إثمها إن أطاعته وهو كافر ..

ولقد نصحت يا شيخنا بمواجهة الردة ثقافيا وفكريا .. فماذا نفعل إذا حيل بيننا وبين ذلك ..

آلاف الأسئلة يا شيخنا ..

لعلي أتناولها في مقالات قادمة ..

●●●

في صلاة القيام منذ أيام غاب مؤقتا - إمام المسجد وهو عالم فقيه ورع ولا أزكيه على الله ..

امتلأت عيناي بالدموع وأنا أسأل :

- كيف احتمل المسلمون وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف كانت أول صلاة بدونه ..

لكم تحسرت على أنني لم أعش في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

الآن أتراجع ..

إذ كيف كان يمكنني احتمال فجيعة موته.

والآن أسأل السؤال المبلل بالدموع ..

- كيف تحتمل الأمة فراق الشيخ يوسف القرضاوي إذا ما حان أجله ..

أما ما يزيد من مرارة السؤال بلا حدود فهو أن الأمة - وخاصة حكامها - لم يعرفوا قدره .. ولم يستغلوا وجوده بيننا نعمة من الله علينا ..

اللهم اقصم من أساء إليه واقصم من لم يعرفوا قدره .

يا شيخنا ..

ليتك كنت خليفتنا .. وأميرا المؤمنين !..

●●●

●●●

●●●

ثمة تحية واجبة لمؤسسة شامخة لم تلق من التقدير ما تستحقه .. هذه المؤسسة هي مكتبة وهبة التي أخرجت كتاب "فقه الجهاد" في صورة فاخرة تضارع وربما تفوق الكتب المطبوعة في الخارج من ناحية الغلاف والورق وحروف الطباعة والإخراج .

ولمكتبة وهبة رصيدها في العالم العربي والإسلامي، إذ كان لها الفضل على مدى عشرات السنين، في تعريف جمهورها بنخبة نبيلة فاضلة من المؤلفين، وفي إتاحة عدد لا يكاد يحصى من نفائس ما خطته الأقلام .. مع استثناءات نادرة لا أستطيع فهمها ومنها أن أول كتاب نشرته المكتبة عام ١٩٥٠ كان

كتاب خالد محمد خالد "من هنا نبدأ" وهو كتاب بشع من فصيلة كتب القصيمي الذي كشف الشهيد سيد قطب كفره وكان خالد من رفاق القصيمي في ذلك الوقت -. وربما يمسح هذه الوصمة أن الكتاب الثاني كان كتاب العلامة الشيخ محمد الغزالي (اعتذر خالد بعد ذلك وتاب).

لقد كان مؤسس هذه المكتبة "الحاج وهبة حسن وهبة" بحق كما قال عنه الأستاذ محمد العزبي واحدا ممن ساهموا في بناء الإنسان والوطن .. لم يسع إلى الشهرة بل أدي مهمته في صمت وجدية وإيمان .. وكان ناشرا لكتب بقيت للزمان. وداعية من دعاة الإسلام ... ولقد كان هو الذي تصدى لنشر كتب بالغة الأهمية مثل "في ظلال القرآن" و"معالم في الطريق" للمفكر الإسلامي "سيد قطب". وكتاب "جاهلية القرن العشرين" لأخيه "محمد قطب" حفظه الله وشفاه .. وكان طبيعيا أن يلقي القبض عليه عام ١٩٥٤ بتهمة تقديم مساعدات لأسر المقبوض عليهم .. وحكم عليه بخمس سنوات سجناً مقابل خمسة وعشرين قرشا كان يتبرع بها شهريا .. وبعد ١٩٦٥ وضع هو وأسرته والمكتبة تحت الحراسة وظل قيد الأسر حتى وفاة "جمال عبد الناصر"

... ولقد حرص الشهيد سيد قطب على عدم ضم الحاج وهبة حسن صاحب مكتبة وهبة للتنظيم حرصا على استمرارية (دار النشر) ... كما حرص رغم التعذيب على عدم الإشارة إليه .. (محمد الصروي - في سجون مصر - من عام ١٩٤٢م-١٩٧٥م) .. وقد أغلقت مكتبته طوال تلك المدة. لتعود مرة أخرى وعلي نفس الطريق .. وبنفس مبادئ نشر الدعوة والكتب ذات القيمة بأرخص الأسعار رحمة بالقراء، ورغبة في توسيع دائرة المعرفة .. قدم للقراء "خالد محمد خالد" و"الشيخ محمد الغزالي" ومؤلفات الشيخ "سيد سابق" والدكتور "محمد البهي" والشيخ "القرضاوي" وغيرهم من الكتاب الجادين .. كما أعاد طبع عدد من كتب التراث وكان له فضل كبير في نشر أرقى أنواع الفكر بأرخص الأسعار .. ولقد كان كتاب فقه الجهاد هو الاستثناء لسياسة "أرخص الأسعار" .. فالكتاب يباع بسعر مائة جنيه للجزأين (قبل التخفيض) .. ورغم ارتفاع سعر الكتاب بالنسبة لعموم الناس فقد أفادني الخبراء بأن هذا الكتاب لو طبع في دور النشر الأخرى بهذا المستوى لما قل سعره عن ثلاثمائة أو أربعمائة جنيه .

وإن كان ثمة رجاء أو أمل فهو أن تقوم المكتبة بطرح طبعة شعبية من الكتاب .. أو أن تقوم هيئة من هيئات الدولة بشراء حقوق الطبعة الثانية من الكتاب وطبعه بسعر يجعله في متناول الناس .. ولو خصما من نفقات الحرب على الإرهاب !.

●●●

في ظلال السيرة : العدد القادم إن شاء الله ..

د. محمد عباس

فى الصميم ..

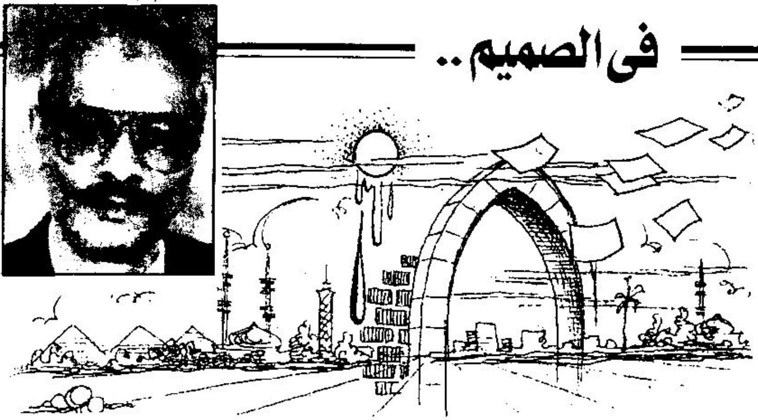

القرآن الكريم .. حقائق وخصائص

بقلم : أحمد رشاد حسانين

القرآن الكريم كتاب الله الذى أنزله على نبيه ورسوله محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - ليكون هاديا للناس كافة ودستور حياة للمسلمين وقد نزل بلفظه ومعناه - بواسطه أمين الوحي جبريل بحسب المناسبات والأحوال على مدى ثلاثة وعشرين عاما هى عمر الدعوة فى مكة المكرمة ثم المدينة المنورة وبهذا نزل منجما وكان جبريل أمين الوحى - عليه السلام - يعرض القرآن كل عام على النبى صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان، وقد تم تحديد آياته وسوره تحديدا توقيفيا، وهو يفتتح بسورة الفاتحة (السبع المثاني) ويختتم بسورة الناس، ومنذ نزول آياته والمسلمون يحرصون كل الحرص على حفظها وتلاوتها، فضلا عن التعبد بها .

وقد تكفل الله سبحانه بصيانة القرآن العظيم وحفظه من أدنى تغيير أو تحريف أو تبديل، قال تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ .. (الحجر : ٤) .

وقال تعالى : ﴿ إنا علينا جمعه وقرآنه، فإذا قرآناه فاتبع قرآنه، ثم إنا علينا بيانه﴾ .. (القيامة : ١٧، ١٨) .

ولهذا فإن القرآن العظيم وكما يقول رب العزة :

﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ .. (فصلت : ٤٢) .

١ - شمولية وإحاطة :

وقد احتوى القرآن الكريم فيما احتوى على أسس العقيدة والشريعة الإسلامية وقواعد الآداب والسلوك والأخلاق، ورسم أطرا عامة للسياسة والحكم، كما ذكرت فيه الكثير من قصص الأنبياء السابقين وأخبار الأمم السالفة للعظة والاعتبار، لقد أحاط القرآن العظيم بالقليل والكثير، الصغير والكبير، الدنيا والآخرة، لا آخر لعجائبه، ولا نهاية لفتوحاته، ولا حد لمنافعه وفوائده، وتدفق عطاءاته .

وهو يحلو كلما ردده المؤمن ويعذب مع تلاوته، لا يمله من يسمعه، ولا يسأم من يقرؤه أو يكتبه، سمعه الأنس فخشعوا من جلاله وعظمته، وسمعه الجن ولوا إلى قومهم منذرين﴾ ..(الأحقاف : ٢٩) .

٢ - من فضائل القرآن الكريم :

إن فضائل القرآن الكريم لا تستقصى، ومنافعه لا تحد، به يتعلم الجاهل، ويتنبه الغافل، ويعمل العامل، ويتذكر اللاهى، ويتعظ الساهى، يوقظ القلوب الغافلة وينقذ البصائر الحائرة، ويشفى القلوب العليلة ويشحذ الأذهان الكليلة، وهو نور فى الظلمة وأنس في الوحشة وصديق في الوحدة، وسمير في الخلوة، ومادة لذيذة على مائدة العقل، وتنوير للإفهام، يتشرف به الوضيع ويعز به الذليل، لا تبليه الأيام، ولا تؤثر فيه العصور، يتجدد بالتكرار، ويزكو على الإنفاق .

٣ - القرآن الكريم معجزة النبي محمد صلى الله عليه وسلم - الخالدة :

وقد نزل القرآن الكريم معجزا ومتحديا الإنس والجن أن يأتوا بمثله حتى لو كان بعضهم لبعض ظهيرا ومعينا، وإذا كان كل نبى قد أيده الله بالمعجزات البينات من الدلائل والبراهين الخوارق للسنن والقوانين والظواهر والعادات، وكانت كل معجزة لنبي من صنف ما تفوق قومه وبرعوا فيه من أمور، فكذلك كانت معجزة النبي صلى الله عليه وسلم إلا أنها كانت معجزة كلامية لغوية وهو أمر برع فيه العرب وفاقوا .

وإذا كانت معجزة كل نبى انقضت بحدوثها وزالت بوقوعها، فإن معجزة النبى صلى الله عليه وسلم خالدة باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ولا يقتصر إعجاز القرآن الكريم على براعة نظمه وفصاحة قوله وبلاغه أدائه وسرده، بل إن إعجازه يظل قائما وتحديه يظل ساريا، وعجائبه تترى وتستمر مع كل الأجيال والأزمنة التي تتقلب على البشرية وذلك بما يلمح به القرآن العظيم من إشارات وتنبيهات، وما يتضمنه من فتوحات وعطاءات .

٤- القرآن الكريم كتاب الله المحفوظ الموثق لهداية العالمين :

والقرآن الكريم كتاب الدعوة إلى دين الإسلام القويم وهداية إلى الصراط المستقيم والتذكرة بالآخرة ويوم الدين قال تعالى :

﴿ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين﴾ .. (البقرة : ٢) .

وقال عز وجل :

﴿ إن هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم ﴾ ..
.... (الإسراء : ٩)

وقال سبحانه :

﴿ فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ﴾ ..
.... (ق : ٤٥) .

فيه تفصيل كل شيء على علم وتبيان على هدى ونور :

﴿ ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ ..
.... (الأعراف : ٥٢) .

والقرآن الكريم روح الإسلام ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ﴾ .. (الشورى : ٥٢)، وبه يحيا المسلمون حياتهم الحقيقية على هذه الأرض كما أرادها الله ﴿ أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس ﴾ .. (الأنعام : ١٢٢)، يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾ .. (الأنفال : ٢٤)، وقد أنزل الله سبحانه القرآن كتابا محكما فصلت آياته حقا وصدقا وعدلا ليكون أسلوب حكم ودستور حياة، مصدقا لما قبله من الكتب ومهيمنا عليها يصدق صحيحها، ويكشف ما أصابها من تحريف وتغيير وتبديل، فمنزلته منزلة الحاكم والرقيب : ﴿ إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق ﴾ (الزمر : ٤١)

﴿ وأنزلنا عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم عما جاءك من الحق .. (المائدة : ٨٤)، وهو كتاب الهداية التامة الشاملة لكل الخلق، مصداقا لقول الله تبارك وتعالى :

﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ﴾ ..
.... (البقرة : ١٨٥) .

وهو هدى لكل الناس لأنه يتضمن الرسالة الخاتمة التي بعث الله بها محمدا صلى الله علي وسلم وهى رسالة عالمية .

يقول تعالى :

﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ .. (الأنبياء : ٨٧)، وقد أكد القرآن الكريم حقيقة - عالمية الهداية - القرآنية الملازمة لعالمية الرسالة الإسلامية وذلك في قوله تعالى : ﴿ الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ﴾ .. (إبراهيم : ١)، وتبرز هذه الحقيقة بوضوح تام إذا تأملنا الآية القرآنية التالية :

﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور ﴾ .. (إبراهيم : ٥) فإذا كان المعلوم أن القرآن الكريم وصف التوارة بأن فيها هدى ونور، فإن هذه الآية تصرح أن هذا الهدى والنور لإخراج قوم موسى من الظلمات، وأما القرآن فقد نزل لإخراج كل الناس من الظلمات إلى النور ويؤكد عالمية الهداية القرآنية أيضا، قوله تعالى :

﴿ إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل ﴾ .. (الزمر : ٤١)، فمن اتخذ القرآن دليلا وقائدا، اهتدى بهداه

واستضاء بنوره، ومضى في حياته على أقوم المناهج وأعدلها وهذا ما جاء في قول الله تعالى :

﴿إن هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا﴾ .. (الإسراء : ٩)، وما جاء في قول الله تعالى "قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾ .. (المائدة : ١٥، ١٦)، وأيضا فإن من هداية القرآن للمؤمنين دون سواهم، إن المسائل التي اختلف فيها بنو إسرائيل جاء القرآن ليفصل فيها ويقول كلمة الحق التي يقبلها المهتدون ويرفضها الضالون وفى هذا المعنى جاء قول الله تعالى :

﴿ إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين إن ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم فتوكل على الله إنك على الحق المبين﴾ .. (النحل : ٧٦، ٧٩) .

وليس هناك تعارض بين وصف القرآن بأنه هدى للناس ووصفه بأنه هدى للمتقين، ذلك لأنه بمبادئه الحكيمة وتعاليمه السمحة صالح لهداية الناس جميعا إذا أصغوا إليه وتدبروا آياته واعملوا عقولهم في فهم مقاصده وأغراضه، وفتحوا قلوبهم لقبول هدايته، وأما الذين أعرضوا عنه وعموا وصموا عن رؤية نوره والاستماع إلى هديه، فلا يملك القرآن لهم شيئا بعد أن اختاروا طريق الضلالة ورفضوا الهداية وذلك يعني أن العيب فيهم، ومن تمام هداية القرآن الكريم، أنه تضمن بيانا وتوضيحا لكل شيء وأرشد الناس لكل ما يصلحهم ويسعدهم في دنياهم وأخراهم ، وحذرهم من كل ما يفسدهم ويشقيهم في الدنيا والآخرة، ففيه علاج كل الأدواء وشفاء كل الأمراض وحل كل المشكلات وفى هذا يقول الله تعالى "ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾ .. (النحل : ٨٩)، عن على ابن أبى طالب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :"إنها ستكون فتن، قيل فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال كتاب الله فيه، نبأ من قبلكم، وخبر من بعدكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم ،وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تشبع منه العلماء ولا تلتبس به الألسن ولا يخلق عن الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تفته الجن إذ سمعته أن قالوا :

﴿ إنا سمعنا قرانا عجبا يهدى إلى الرشد﴾ ...... (الجن : ١-٢) - من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم" - (رواه الترمذى)، إنه كتاب دعوة الإسلام وهو روحها وباعثها وقوامها وكيانها وحارسها وراعيها وهو بيانها وترجمانها وهو فى النهاية المرجع الذى تستخدمه الدعوة، كما يستمد منه الدعاة وسائل العمل ومناهج الحركة وزاد الطريق .

النظام والإخوان جولة فاصلة أم سجال بلا سقف ؟!

بقلم : محمد السروجي

طرحت في الفترة الأخيرة جملة من الرؤى والتصورات حول احتدام الصدام بين النظام الحاكم بجناحيه الحزبي والحكومي من جهة وجماعة الإخوان المسلمين من جهة أخري، بلغ بعضها درجة الشطط وعدم الواقعية تناولتها بعض مراكز الأبحاث والدراسات"مركز قناة الجزيرة للدراسات مقال للباحث خليل العناني"وبعض التحقيقات" جريدة الدستور اليومية"حين عرض الأول توهمه بقدرة النظام على الانتقال مع الجماعة من مربع الإقصاء السياسي والإضرار الاقتصادي والقمع الأمني لما هو أبعد من هذا بكثير حين تكلم عن الاستئصال والحذف ، وتساءل الثاني عن مدي قدرة النظام في الإجهاز على الجماعة والنيل منها كما فعل مع الجماعات الإسلامية التي اعتمدت العنف والانقلاب كوسيلة للتغيير في مطلع التسعينات من القرن الماضي ، ومن هنا طرحت الأسئلة عن مدي صدقية وواقعية هذه التصورات ؟ بمعني هل يملك النظام أدوات وآليات هذا الاستئصال ؟ وإذا كان يملكها فما هي موانع الإجهاز على الجماعة التي تهدد شرعيته وشعبيته سواء بسواء؟ وعلى الطرف الآخر هل تملك الجماعة من النقاط الإيجابية والاحتياطات الوقائية بل والإجراءات العلاجية ما يحميها من هذا السيناريو ؟ وأسئلة أخرى كثيرة تطرح بخلفيات مختلفة بين التعاطف تارة والإشفاق تارة بل والتحريض تارة أخرى .

موقف النظام

يعاني النظام المصري بجناحيه الحزبي والحكومي جملة من المعوقات أفقدته القدرة بل والجرأة على الإقدام على هذه المغامرة الخطرة عالية الكلفة واكتفي بمساحات أوسع من المناورات الإعلامية والسياسية والأمنية من هذه المعوقات :

● شيخوخة الحزب الوطني الحاكم، والذي تحول بفعل الإرث التاريخي لمنظومة الحكم المصري إلى ناد للمسنين يضم بقايا ونفايات التنظيمات التاريخية والأفكار المندثرة، وبالتالي يفتقد رؤية إصلاحية واضحة ومضمونة ، حتى الوريث القادم يفتقد للمواصفات والمعايير المطلوبة لحكم دولة بحجم مصر .

● فشل النظام في تحقيق الحد الأدنى من وعوده الانتخابية وشعاراته السياسية "رغم أخذه لفرصته الكاملة في الوقت، كل الوقت، والإمكانات كل الإمكانات" مما أفقد غالبية المصريين الأمل في الحياة الإنسانية الكريمة بل صار النظام بأجهزته المختلفة رمزاً للفساد والمحسوبية "راجع تقرير المنظمة الدولية للشفافية لعام ٢٠٠٨ حيث تراجعت مصر من المركز الـ٧٠ إلى المركز ١٠٥"

● عدم جاهزية المناخ المحلي والإقليمي والدولي الذي يسعى مديرو وصناع القرار فيه الوصول لحالة استقرار تسود المنطقة حفاظاً عل المصالح الاقتصادية والسياسية لدرجة تغير فيها مفهوم الأمن القومي الأمريكي كما تغيرت استراتيجيات المشروع الصهيوني "الذي يدير المنطقة ويدعم شرعية أنظمة الحكم العربية" .

● تآكل الشرعية الشعبية لنظام الحكم بانهيار الطبقة الوسطي "المتعلمة والعمالية في المدن وصغار الملاك والمستأجرين في الريف "بعد نظام الخصخصة وجملة القوانين والتشريعات التي انحازت لطبقة رجال الأعمال دون سواهم مما جعل النظام يرتكز في شرعيته على رأس دبوس "رجال الأعمال"

موقف الجماعة

في المقابل ورغم معاناة الجماعة من بعض الإشكاليات والتحديات الداخلية والخارجية إلا أنها تتمتع بجملة من المقومات التي جعلتها تتميز بجهاز مناعي مرن يمتص بمهارة الضربات الحكومية بأنواعها المختلفة من هذه المقومات :

● طبيعة منهجها التغييري الذي يجنبها خوض المعارك أو الجولات المصيرية الفاصلة باعتماده الوسطية بعيداً عن الغلو والسلمية بعيداً عن العنف والتدرج بعيداً عن الطفرة، مما يكسبها طول النفس وتحمل الأزمات بصبر وجلد .

● متانة التنظيم ، بتوافر مقوماته من المرجعية التاريخية وشروط وموصفات العضوية واستمرارية الرعاية والتعهد ومؤسسية وشورية القرار .

● نظام وبرامج البناء والإعداد النفسي والتربوي والفكري والاجتماعي أملاً في بناء كوادر تتمتع بالاستواء النفسي والنضوج الفكري والتميز الخلقي والإتقان المهني والإنتاج الدعوى .

● الشرعية الشعبية التي حققتها في انتخابات ٢٠٠٥م والحضور الإعلامي والسياسي والشعبي الذي لا يمكن تجاوزه بل يبقى معتبراً في كل القرارات والسيناريوهات المحلية والدولية .

● رغبة المصريين في إحداث أي تغيير يخرجهم من النفق المظلم الذي حفره النظام الحاكم خاصة إذا كان من البدلاء أو الشركاء فصيل بحجم الإخوان وما يتمتع به من رصيد خدمي في المجالات الحيوية والجماهيرية .

وأخيراً

فالمتوقع انعدام الجولات المصيرية الفاصلة وأن السجال سيبقى مفتوحاً بلا سقف، والتاريخ يؤكد أن سنن الله في كونه غلابة لا تجامل ، والبقاء للأصلح .

محمد السروجي

مدير مركز الفجر للدراسات والتنمية

M_srogy@yahoo.com

رسالة أكاديمية تؤكد:

مجلة "المختار الإسلامى" لم تأل جهدا فى تبنى قضايا المسلمين والدفاع عنها

إبراهيم وهبة نعيم

كتب:
السنوسي محمد السنوسي

أكدت دراسة أكاديمية نوقشت مؤخرا بجامعة الأزهر أن مجلة "المختار الإسلامي" مثلت مرحلة مهمة في مسيرة الصحافة الإسلامية ؛ بدءاً من مجلة "الفتح" لمحب الدين الخطيب، و"الشهاب" لعبد الحميد بن باديس، و"المنار" لمحمد رشيد رضا، إلى صحافة "الإخوان المسلمون"، وإلى مجلة "الاعتصام" الشقيق الروحي لـ"المختار".

وأشادت الدراسة - التي نال بها الباحث إبراهيم وهبة نعيم درجة الماجستير في الدعوة الإسلامية ،كلية أصول الدين ، جامعة الأزهر فرع شبين الكوم عام ٢٠٠٨م - بدور "مجلة المختار الإسلامي" الرائد في تحمّل أعباء وهموم قضايا المسلمين في مختلف أقطار العالم بجرأة واقتدار، وفي سعيها الدءوب لإحياء التضامن الإسلامي بين الدول الإسلامية وشعوبها .

ولفتت إلى أنه ليس لـ "المختار" تصنيف معين وإن كانت تستفيد من مدارس العمل الإسلامي؛ فهي تخاطب كل فرد من أفراد الأمة الإسلامية دون نظر إلى توجهه أو الأسلوب الذي يتخذه في حياته ما دام ينتظم في الاتجاه الإسلامي العام .

وخلص الباحث في دراسته التي جاءت تحت عنوان "مجلة المختار الإسلامي وجهودها في خدمة الدعوة الإسلامية" وأشرف عليها الأستاذ الدكتور/ حسن عبد الحميد حسن عميد كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية جامعة الأزهر فرع المنوفية والأستاذ الدكتور/ مرسي شعبان السويدي أستاذ ورئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بالكلية، إلى أن المختار أسهمت على مدى ثلاثين عامًا في تشكيل العقل المسلم بفكر وسطي هادئ، مع عنايتها بواقع الأمة المتشابك، والتصدي للمفاهيم الوافدة الزائفة التي تهدف لتغريب المسلمين وبلبلة أفكارهم، مؤكدة في خدمة تلك القضايا على ضرورة "وحدة الأمة الإسلامية" كحل جذري لقضايا المسلمين المزمنة .

التنصير وجذور العداء

رصد الباحث أن "المختار الإسلامي" فاقت نظيراتها من الصحف الإسلامية في التصدي لحملات التنصير وكشف أقنعتها ووسائلها، لافتًا إلى تأكيدها أن الحملات الضارية ضد الإسلام اليوم ليست وليدة ظروف جديدة طارئة وإنما هي ترسبات قديمة ترسخت في العقلية الغربية منذ الحروب الصليبية، بل حتى من قبلها حينما فتح المسلمون الأندلس، وحينما فتح العثمانيون لاحقًا القسطنطينية وحاصروا أسوار العاصمة النمساوية "فيينا".

ولفت الباحث أيضًا إلى مفارقة تستدعي الدهشة والاستنكار، وهي أن الأديان البشرية تعامل من جانب الغرب معاملة منصفة بينما الإسلام وحده - بحسب "المختار" - من بين كل الأديان في العالم هو الذي يهاجم ويساء إليه، وهو وحده الذي يرمى بكل النقائص .

وتؤكد المجلة أن النشاطات الأمريكية - وخاصة في المنطقة العربية - تقترن بالعمل التبشيري، وكأن المبشر يأتي ليغسل الأدمغة التي لم يغسلها القهر العسكري ! فالاتجاه التبشيري على الجملة هو الضبع الذي يمشي في ركاب الغول الغربي العسكري الاحتكاري لينهش بقايا الضحية (الشعوب الإسلامية !!).

وأشار الباحث إلى أن "المختار الإسلامي" كانت سباقة في رصد وسائل المنصرين والكشف عنها تباعا بعين اليقظة، مبينة أنها وسائل يمكن أن نقابلها في حياتنا في أشكال تبدو بريئة، كالاتصالات الشخصية مع سياح أجانب، أو بعض المجلات الموجهة للشباب .

ونفت "المختار" ما قد يتوهم البعض من أن التنصير مرحلة انتهت، مؤكدة أنه موجود بأشكال مختلفة وصور متباينة : فقد يكون موجوداً بشكله الساذج القديم على هيئة منصرين ورهبان، وقد يكون بشكل أكثر رقيًا وذكاءً على هيئة مستشفى أو مدرسة أو ناد، أو جمعية ثقافية !

وتوضح "المختار" عند تعرضها لوسائل التنصير، أن أخطر تلك الوسائل يتمثل في المؤسسات التعليمية مثل الجامعة الأمريكية والمدارس الأجنبية في مصر، التي يهدفون من زرعها إلى إحداث عملية تغريب وعلمنة لعقول النشء المسلم، وخصوصًا عقول أبناء النخب الحاكمة الذين يُعدون لتولي مسئولية حكم تلك البلاد مع الاستعمار الغربي ؛ أما الوجه الذي تُقدَم به هذه المؤسسات للشعوب فهي أنها - بحسب "المختار"- دور علم وعرفان، ومؤسسات تنمية وأدوات تقدم وحضارة ؛ لكن الوجه الحقيقي لها هو محاربة الثقافة الإسلامية، والطعن في الإسلام ورموزه وشريعته، والتمكين لعادات وتقاليد لا تتناسب مع قيمنا .

وفي هذا الصدد يشيد الباحث بمنهج "المختار الإسلامي" في مواجهة الزحف التنصيري ؛ مبينًا أنه يقوم على توعية المسلمين بمكائد التنصير، واستنهاض الهمم في مغالبته، وإيجاد رأي عام يقف في وجه مخططاته، والعمل على بعث الدعوة الإسلامية والنهوض بها .

وأشار إلى أن "المختار" اعتمدت في ذلك على اهتمامها البالغ والمبكر برصد حركة التبشير، وقد خصصت لذلك ابتداء من العدد ٢٧ باب (تبشير) إلى جانب ما رصدته من أخبار التنصير في باب (برقيا)، إضافة إلى المقالات التي تولت دراسة الحركة التنصيرية ابتداءً .

ولفت الباحث إلى أن "مجلة المختار الإسلامي" اهتمت أيضًا برصد إمكانات التنصير البشرية والمادية، وذكرت في هذا الصدد أرقامًا من شأنها أن تدعو أصحاب القرار والرأي عندنا إلى القلق والحذر .

فجاء في عددها ٦٥ سبتمبر ١٩٨٦ نقلا عن جمعية الإغاثة العالمية التي تتخذ بريطانيا مقرًا لها أن مجموع العاملين في حقول التبشير بلغ حوالي أربعة ملايين مبشرًا ومبشرة ! وفي عدد ٧٣ ذكرت أن التبرعات في أمريكا وحدها بلغت أكثر من ٨٧ مليار دولار عام ١٩٨٦، و٩٣ مليار دولار عام ١٩٨٧ بزيادة قدرها ٦ مليارات خلال عام واحد فقط !!

المستشرقون وطلائع الاستعمار

ذكر الباحث أن اهتمام "المختار الإسلامي" بقضية الاستشراق نابع من إدراكها بأنها امتداد للحرب الباردة التي تستهدف عقول المسلمين ومفاهيمهم، بل إنهم - أي المستشرقين - يمثلون طلائع الاستعمار مع المنصرين .

ويشير الباحث إلى رؤية "المختار الإسلامي" لأهداف الاستشراق ؛ حيث ترى أنها لا تنحصر في هدف واحد، بل تتنوع حسب حاجات الغرب لذلك ، وإن كان الهدف الديني - بحسب "المختار" - على رأس الأهداف الأخرى .

وأما عن أهم حقول الاستشراق التي رصدتها "المختار الإسلامي" فيذكر الباحث أنها تتمثل في :

- مؤسسات التعليم الخاصة، لاسيما الجامعات الأجنبية .

- الإعلام : ورأت المجلة أن المعركة المستمرة والمتواصلة مع الغرب كانت وما زالت في جزء كبير منها معركة إعلامية .

- المؤسسات الثقافية : التي من المفترض أن تكون حارسة لقيم المجتمع، لكن تم اختراقها واستخدامها لضرب ثوابت الأمة، وخلخلة نمطها الفكري .

كما يقرر الباحث أن "المختار الإسلامي" أفاضت في التصدي لتلامذة الاستشراق، مبينةً خطورتهم خاصة وأنهم يحاطون بهالات إعلامية كبيرة تغدق عليهم الألقاب الرنانة .

وتؤكد المجلة أن "عبيد" الاستشراق يهدفون إلى صد المسلمين عن دينهم بدعوى التطور والتجديد، وإلى إعطاء الذرائع للأعداء ليقولوا لغير المسلمين المتطلعين إلى النجاة من عفن الكفر والجاهلية : لا تنظروا إلى الإسلام؛ إن أبناءه أنفسهم يعزلونه عن الحياة، ويبعدونه عن الواقع !!

ورصد الباحث أيضاً جهود "المختار الإسلامي" في تتبع شبهات المستشرقين ونقضها، مبينًا أن شبهاتهم أسرفت في الغي، وتناولت القرآن الكريم، وحياة النبي صلى الله عليه وسلم - خاصة تعدد زوجاته- وامتدت إلى الشريعة الإسلامية ودعت إلى إقصائها وإحلال القوانين الوضعية مكانها .

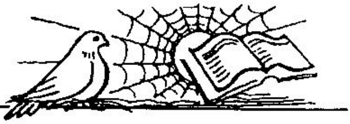

التغريب وتشويه المفاهيم

حدد الباحث مفهوم "التغريب" كما ورد بالمجلة بأنه فرض رؤى الغرب وفلسفته وتجاربه بقوة النفوذ العسكري والاقتصادي والإعلامي وبمساعدة تيارات داخلية في العالم الإسلامي تابعة له .

وذكر أن المجلة أرجعت بذور التغريب إلى الحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون بونابرت، الذي استفاد من هزيمة لويس التاسع في آخر حملة صليبية له، ومن ثم عمل على وضع إستراتيجية استعمارية جديدة تضع الغزو الفكري في أولوياتها ، وهذا يفسر - كما تقرر المجلة - استصحاب نابليون في حملته للمطبعة ، ولعدد كبير من العلماء في مختلف التخصصات !

وترصد "المختار" أخطر مظاهر التغريب متمثلاً في تغريب التعليم، وتؤكد أن التعليم بالطريقة التي اتبعناها كان أساس العاصفة العاتية التي هبت علينا باسم الأوربة أو التغريب أو التحديث، وأن حركة التغريب لم تنقل إلينا عن الغرب سوى العلوم التي سمح بها الغرب، على أن نتقبل ثمنا لها غزوا ثقافيا وسحقا كاملا لاعتزازنا بذاتنا ومقدساتنا ، كما أننا لم ننقل الطب والهندسة والكيمياء بقدر ما نقلنا فلسفتهم وأدبياتهم التي تخالف في كثير منها قيمنا ومفاهيمنا .

وأشار الباحث إلى ما ذكرته "المختار" من أن الاستعمار حينما رحل "شكليا" عن البلاد الإسلامية، حرص على أن يترك له أذنابا وأتباعا ، ولاؤهم الأول والأخير له، ووضعهم

في مواقع القيادة الفكرية والسياسية والإعلامية ليضمن بهم تحقيق أطماعه، وتخدير الشعوب .

وكمثال واضح على أسلوب الاستعمار في غرس أتباعه رصدت "المجلة" التجربة التركية بعد إسقاط الخلافة على يد أتاتورك، الذي قام بحملة تغريب للمجتمع كله، واضعًا على رأس أجندته قطع كل صلة لتركيا بالإسلام، ومحاربة اللغة العربية وإصدار قانون يجرم الكتابة بها، إلى درجة إجبار المسلمين على ارتداء الملابس الغربية .

وتؤكد المجلة أن محاولات التغريب تنوعت أشكالها ومظاهرها إلى أن وصلت إلى الخطة الأمريكية لإقامة "مشروع الشرق الأوسط الكبير"، الذي تسعى من خلاله إلى دمج إسرائيل في علاقات ثقافية واقتصادية مع البلاد العربية لإفقادها هويتها الإسلامية وخصوصيتها الحضارية .

نحو وعي سياسي

من الخلاصات المهمة التي رصدها الباحث أن القضايا السياسية كانت المادة الأولى لـ "المختار الإسلامي"، وأنها انتهجت خطًا سياسيًا ساخنًا ذا صبغة إسلامية، معتبرةً أن الإسلام من غير سياسة لا يعدو أن يكون مجرد طقوس لا تأثير له في الحياة، ومبينةً أن دعوى فصل الدين عن الدولة دعوى باطلة، روج لها الاستعمار ليحكم سيطرته على مقدرات البلاد والعباد؛ ولذا كان من أبرز أبواب المجلة باب (نحو وعي سياسي) .

وتطبيقًا لهذا الخط العام الذي ميز معالجات "المختار الإسلامي"، أشار الباحث إلى اهتمامها البالغ بوحدة المسلمين والدعوة إلى تعظيمها وتفعيلها، حتى إنها رفعت منذ أول عدد لها شعار: (مجلة كل المسلمين)، وأكدت أنها - الوحدة الإسلامية- حقيقة إيمانية، وفريضة شرعية، وضرورة اجتماعية .

كما أكدت المجلة في هذا الشأن، أن إسقاط الخلافة - التي انضوى المسلمون تحت رايتها أكثر من ثلاثة عشر قرنًا- جعل المسلمين أضيع من الأيتام على مأدبة اللئام .

فلسطين وحتمية النصر

أشار الباحث إلى أن السياسة التحريرية لمجلة المختار الإسلامي عالجت القضية الفلسطينية على أساس أنها هي القضية المحورية والمركزية لـ"للأمة الإسلامية" حيث أن مستقبلها مرهون بمستقبل فلسطين، ولذا لا يكاد يخلو عدد منها إلا وفيه متابعة دقيقة لأوضاع فلسطين .

كما لفت إلى ما أكدته المجلة من أن إخراج القضية الفلسطينية من الدائرة الإسلامية إلى الدائرة القومية والوطنية، واصطناع التضاد بين الدائرتين: كان سببًا رئيسيًا في مضاعفة معاناة الشعب الفلسطيني، وإخلال توازن الصراع لصالح الكيان الصهيوني .

وبحسب "المختار الإسلامي" فإن قيام الكيان الصهيوني كان محصلة لتلاقي رغبتين أساسيتين :

الأولى : رغبة استعمارية غربية تهدف إلى السيطرة على الشرق المسلم .

الثانية : رغبة يهودية مؤسسة على "أساطير" سياسية ودينية - كما سماها وفضحها المفكر المسلم "رجاء جارودي" - في إقامة وطن قومي يجمع اليهود من شتاتهم .

وفي هذا الإطار سجل الباحث أن المجلة تابعت بعمق الممارسات والانتهاكات الصهيونية الإرهابية بحق البشر والحجر والمقدسات في فلسطين، مؤكدة أن المشروع الصهيوني برمته قائم على اغتصاب الأرض من أهلها وترويعهم وتشريدهم؛ وأنهم في سبيل تحقيق ذلك لا يتورعون عن القتل وسفك الدماء، واستخدام أبشع الوسائل اللاإنسانية في إشاعة الخوف والرعب في نفوس السكان لإجبارهم على مغادرة أراضيهم .

وبحسب سجلات الأمم المتحدة فقد ارتكب الصهاينة خلال الفترة من (١٩٤٨ - ١٩٦٧م) فقط أكثر من ٢١ ألف حادثة إرهابية كما ذكرت المجلة. إلى أن وصلت تلك الانتهاكات إلى "جدار الفصل العنصري" الذي يقطع أوصال الشعب الفلسطيني ويحوله إلى كانتونات، ويجعل القرى أشبه بسجن كبير !

وفي المقابل اهتمت المجلة - كما أبرز الباحث - برصد وتأييد المقاومة الفلسطينية، التي بدأت إثر نشوء الحركة الصهيونية كرد فعل طبيعي للدفاع عن الأرض والمقدسات، وتطورت بوسائل متعددة وأصبحت قادرة على "استنزاف" الاحتلال، وإصابته في صميم قاعدتيه اللتين بنى عليهما وجوده المادي، وهما : الأمن، والازدهار الاقتصادي .

من ناحية أخرى أكدت المجلة أن "زوال إسرائيل حتمية قرآنية"، حتى وإن اختلت الآن موازين القوى الدولية والإقليمية بدرجة ظن معها الكثيرون أن الحديث عن تحرير كامل فلسطين - فيما يسمى "فلسطين التاريخية" - ضرب من المحال ! ولذلك شددت المجلة على ضرورة أن يتحقق اليقين الكامل لدى كل مسلم أن وعد الله بالنصر والتمكين، وعد قائم متى توافرت شروط النصر وموجباته، ومتى وُجد المؤمنون الصادقون المخلصون لدينهم وقضيتهم كما أشارت الدراسة .

الأقليات المسلمة
تاريخ من المعاناة !

ذكر الباحث أن استقراء تاريخ الأقليات الإسلامية بشكل عام، يؤكد لنا أن قضية الأقليات تمثل وبصدق المعيار الحقيقي لمدى إيمان أمة الإسلام وقوتها، وقيامها بدورها المنوط بها في قوله تعالى : "كنتم خير أمة أخرجت للناس" .

وأشار إلى أن مجلة "المختار الإسلامي" - وقد رفعت شعار "مجلة كل المسلمين" - لم تألُ جهداً في خدمة قضايا المسلمين في شتى بقاع الأرض، حتى فاقت مثيلاتها من الصحف الإسلامية والمجلات الدعوية في هذا المضمار .

وأوضح أن "المختار الإسلامي" كانت دائمًا في قلب الأحداث والمحن التي تعرض لها المسلمون خطوة بخطوة : في الصين والهند وكشمير والبوسنة والهرسك وكوسوفا .. من

خلال باب (أحوال المسلمين)، وكذلك باب (أضواء) الذي يُعني بالتعليق على أهم ما يجري على الساحتين المحلية والعالمية إلى جانب الملفات الخاصة، والتي تتناول من حين لآخر قضايا بعض الأقليات الإسلامية وما تتعرض له .

ثم لفت الباحث إلى السمات البارزة - بحسب مجلة "المختار الإسلامي" - للقوى العدوانية التي تعبث بالمسلمين، على الرغم من التفاوت بين تلك القوى في الدين والجنس والثقافة .. وهي كما يلي :

١- نزعة عنصرية استعلائية، تضخم الذات إلى درجة القداسة، وتحط من صورة الأغيار إلى أدنى درجات الوجود حتى لتخرجهم من المنظومة الإنسانية .

٢- اشتراك هذه القوى العدوانية في تبني سياسة استعمارية استيطانية إحلالية بدرجة متفاوتة تجاه الشعوب المسلمة، وهي سياسة مدعمة بقوانين ونظم وإجراءات قمعية وأساليب متشابهة .

٣- السعي الحثيث للقضاء على الهوية الإسلامية ، وطمس معالمها الثقافية والحضارية، ومحاربة القرآن الكريم والشريعة وإثارة الشبهات حولهما .

وفي المقابل، أكد الباحث أن محن الأقليات الإسلامية - رغم اختلاف ظروف كل أقلية - تتشابه إلى حد كبير في واقعها وهمومها ، وأشار في هذا الصدد إلى أهم تلك الهموم :

- ممارسة العنصرية والامبريالية ضدهم إلى حد الإبادة الجماعية، وما يطلق عليه "التطهير العرقي" .

- الأوضاع الاقتصادية والمعيشية السيئة والتي تصل حد المجاعة، كما هو شأن الأقليات الإسلامية في العديد من دول القارة الإفريقية .

- محاولات التنصير كما هو الحال مع كل الأقليات الإسلامية تقريبًا ، وبالأخص الأقليات الإسلامية في دول القارة الإفريقية ومناطق جنوب وجنوب شرق آسيا ، مستغلين المشكلات المعيشية والاقتصادية بشكل أساسي .

- المحاولات الدورية لطمس هوية الأقليات الإسلامية وتذويبها في الأكثرية غير المسلمة ، كما حاولت روسيا وسائر منظومة الدولة الشيوعية خاصة دول أوربا الشرقية .

- مشكلات ثقافية وتعليمية، وهي مشكلة عامة تمس جميع الأقليات الإسلامية ، وخاصة فيما يتصل بها التثقيف والتعليم الديني .

- ضعف أو تفكك الترابط الاجتماعي بين أبناء الأقليات الإسلامية ، مما يضعف شوكتهم ويؤدي إلى سهولة الالتفاف حولهم واختراقهم ويشعرهم بالعزلة والغربة عن الوطن الإسلامي، وخاصة في أمريكا الجنوبية وبلدان الكاريبي .

- أن تلك الأقليات ربما شكلت نسبة عالية جداً من عدد السكان ربما تزيد على ٥٠٪ أو ٦٠٪ بل ربما ٨٠٪ ومع ذلك يغيبون تماماً عن المشاركة في الحكم والمناصب القيادية في الكثير من دول القارة الإفريقية كأثيوبيا وإريتريا والسنغال تحت حكم سنجور،

والدول الإسلامية في آسيا الوسطي تحت الحكم السوفيتي سابقًا .

الاقتصاد الإسلامي رؤية متوازنة

تنطلق "المختار الإسلامي" في معالجتها لقضايا الاقتصاد - كما يقرر الباحث - من الإيمان بأن الإسلام نظام حياة، ينظم الحياة الإنسانية في شتى جوانبها المادية والروحية على السواء ؛ كما أنها تؤكد أن النظام الاقتصادي الإسلامي وما يميزه من سمات وعوامل ديناميكية وإنمائية يمثل الصيغة الصحيحة لنموذج إنمائي متكامل، لخروج المجتمعات المعاصرة مما تعاني منه من مشكلات اقتصادية ، سواء كانت هذه المجتمعات متقدمة أم متخلفة .

وعن أهم الملامح العامة للنظام الاقتصادي الذي ألحت عليه المجلة ، يذكر الباحث أنها تتمثل في :

١- احترام العمل والحض على إجادته وإتقانه .
٢- تشجيع الإنفاق وترشيده وتحريم الاكتناز .
٣- تحريم الربا بجميع صوره .
٤- التأكيد على دور الزكاة في تشجيع الإنتاج وتوفير السيولة النقدية .
٥- إيجاد صيغ إنمائية للنشاط الإنتاجي (مثل عقد المضاربة).
٦- تشجيع المنافسة المنتجة وتحريم الاحتكار .
٧- قيام الإطار الاقتصادي على أساس العدالة الاجتماعية والتوازن بين حقوق الفرد وحقوق المجتمع .
٨- الكسب الحلال والإرث المشروع هما أساس الدخل .

وهنا أشار الباحث إلى الموقف الحاسم الذي اتخذته "المختار الإسلامي" ضد الفتاوى التي تبيح الفوائد البنكية، وذكر أنها استشهدت بآراء كبار الفقهاء، وعلماء الاقتصاد، كما أعلنت المجلة تمسكها بقرارات المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية المنعقد سنة ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م، والذي انتهى إلى قرارات منها :

١- الفائدة على أنواع القروض كلها ربا محرم، ولا فرق بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكي وما يسمى بالقرض الإنتاجي .

٢- الإقراض بالربا محرم والاقتراض بالربا محرم .

٣- كثير الربا وقليله حرام .

٤- أعمال البنوك من الحسابات الجارية وصرف الشيكات وخطابات الاعتماد والكمبيالات، كل هذه المعاملات المصرفية جائزة، وما يؤخذ نظيرها ليس من الربا .

٥- الحسابات ذات الأجل وفتح الاعتماد بفائدة وسائر أنواع الاقتراض نظير فائدة، كلها من المعاملات الربوية، وهي محرمة .

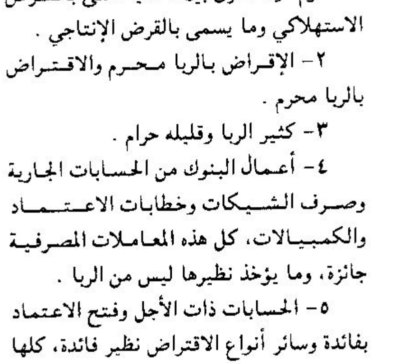

المرأة مستهدفة

فيما يتصل بمعالجة "المختار الإسلامي" لقضايا المرأة والأسرة، أشاد الباحث باهتمام "المختار" بتلك القضايا، مشيراً إلى تأكيدها أن إحراز أي نجاح في العمل الإسلامي مرهون بالحضور الواعي للمرأة المسلمة، واستشعارها بخطورة دورها المنوط بها .

وأرجع الباحث اهتمام "المختار" بقضايا المرأة والأسرة إلى أمور، منها :

- أن قضية المرأة باتت تجارة رائجة لدى كثيرين ممن أسمتهم المجلة بالنخب العلمانية تحت شعارات زائفة مثل : تحرير المرأة، وحقوق المرأة.

- أن أعداء الإسلام أعدوا جيوشًا لغزو المرأة المسلمة يذهبون إليها في كل مكان، ولا يملون من ترديد شبهاتهم حول ظلم المرأة وإهانتها وحقوقها المهضومة .

- أنه قد شاعت بين أوساط كثيرين من الإسلاميين بعض العادات والتقاليد الراكدة التي لا تمت للإسلام بصلة ، مما أساء إلى حقيقة الموقف الإسلامي المنصف للمرأة .

وفي هذه القضية الشائكة أكدت "المختار الإسلامي" أن الإسلام يدعو إلى المساواة بين الرجل والمرأة في الخَلْق والتكاليف والجزاء والعقاب ، في إطار خصوصية الفطرة التي فطر الله الناس عليها ؛ فتظل المرأة مع مساواتها بالرجل أنثى، ويظل الرجل ذكراً، أي لا تمسخ الذكورة أو الأنوثة؛ فهي مساواة الشقين المتكاملين لا مساواة الندين المتماثلين ، وذلك حتى تدوم سعادة الجنسين بالتكامل ولا يحدث التنافر بسبب بالتماثل .

أما فيما يتصل بحقوقها السياسية، فقد لفت الباحث إلى أن "المختار" دعت إلى أن للمرأة حق المشاركة في الانتخابات النيابية والمحلية والنقابية، كما أن لها الحق في أن تتولى مهام عضوية تلك المجالس ، وكذلك لها الحق في تولي المناصب القيادية ما عدا الإمامة العظمى وما يندرج تحتها .

وذكر الباحث أن أحدث صيحة أطلقها الغرب كانت من خلال أحد الصحفيين المتأمركين - كما وصفته المختار - الذي راح يبشرنا بحدوث تحرك أمريكي أسماه بخارطة الطريق لتحديث العرب، ترتكز على خطين رئيسيين :

- التعاون الاقتصادي العربي - الإسرائيلي .

- الاهتمام بالمرأة والإصرار على وضع برامج لتمكين النساء من النجاح في الانتخابات .

وهنا تتساءل "المختار الإسلامي" مستنكرة : لماذا إنجاح المرأة وليس إنجاح الرجال ؟! وأي مصالح أمريكية حيوية سوف يخدمها إنجاح النساء في الانتخابات في العالم العربي ؟!

وتجيب المختار بأن أمريكا تفعل ذلك لانتقاء نوعية معينة من النساء بالذات لهذا النجاح ، حيث يتوقع منهن تنفيذ الخطط الأمريكية المعادية للإسلام دون أن يتهمن بالعمالة لأمريكا والغرب ، بل سوف يحظين بكل الثناء والتشجيع باعتبارهن ساعيات للتقدم والحداثة، وهذا ما يضع أيدينا على حقيقة العلاقات المشبوهة بين جمعيات حقوق المرأة ودوائر الغرب .

وتوضح "المختار الإسلامي" كما ذكر الباحث أنه على إثر فشل الحملات العسكرية في تحقيق أهداف الغرب الصليبي تم التحضير لما عرف بـ "الغزو الفكري" الذي كانت "المرأة" أحد أهدافه الخبيثة فيما سمي "تحرير المرأة" ، والذي في إطاره يتم إحلال القوانين الغربية في "الأحوال الشخصية" محل الشريعة الإسلامية في كثير من البلاد العربية والإسلامية !

كما أكد الباحث أن "المختار الإسلامي" اهتمت بمتابعة أبعاد الحرب الشعواء على "الحجاب"، مبينة أن قضية الهجوم على الزي الإسلامي لم تعد مسألة اختلاف في الأذواق ، أو نزاع في تفسير قضية دينية فرعية كما

يحاول البعض أن يتصورها ؛ بل الأمر تحول على يد القوى اللادينية إلى عملية قسر وقهر للمسلمين، وهجوم على ذاتيتهم وانتهاك لحقوقهم الدستورية والإنسانية .

يذكر أن مجلة "المختار الإسلامي" تصدر غرة كل شهر عربي منذ عام ١٩٧٩م وحتى الآن بإشراف عام الأستاذ حسين عاشور، ورئاسة تحرير الدكتور محمد مورو حاليا ، وصلاح عبد المقصود وصافيناز كاظم سابقا ، وسكرتارية تحرير حنان عاشور وعبد الرحمن هاشم ، وإخراج صحفي علي عبيد .

ومن أبرز كتابها الراحلين : د. نجيب الكيلاني، د. فهمي الشناوي ، د. فتحي الشقاقي، جلال كشك وآخرون .. أما أبرز كتابها اليوم : أحمد بهجت، د. محمد عباس ، د. حلمي القاعود ، د. محمد يحيى ، د. عبد الحميد الغزالي ، د. عبد الفتاح الحسيني ، د. خالد فهمي ، د. ليلى بيومي ، محمد يوسف عدس ، محمد أنور رياض ، أحمد رشاد حسنين ، محمد السروجي وآخرون .

كما خرجت مجلة المختار الإسلامي كوكبة من الصحفيين والإعلاميين أبرزهم : جمال سلطان ، عادل الأنصاري نور الهدى سعد ، هشام جعفر ، عاطف عبد الرشيد ، همام عبد المعبود ، أحمد زهران ، علاء النادي ، محمد جمعة ، إحسان السيد ، نهاد الكيلاني ، سيد أبو داود ، نشأت المصري ، رجب الدمنهوري ، جمال نصار ، حمدي عبد العزيز ، مي محمود ، أحلام علي ، أسامة الهتيمي وآخرون .

إدارة الأزمات

محمد عادل - أسامة الهتيمي

عالم اليوم هو عالم الأزمات، ويصعب تصور مجتمع يخلو منها لأسباب تتعلق بالتغييرات الكثيرة التي حدثت في الحياة والتعقيدات التي ألمت بالمجتمعات وبيئة التقدم التي أفرزت في كثير من جوانبها أنماطا جديدة من المشاكل التي تحول بعضها مع الوقت إلى نوع جديد من الأزمات.

عندما تتفجر الأزمات بداخل مجتمع تسري بداخله حالة من التشويش والمشاعر السلبية، تفقده صلابته وقد تتعطل مسيرة إصلاحه، وتتباطأ معدلات العطاء بين أبنائه ويعيش المجتمع المتأزم حالةً من الغليان تزيد وتنقص تبعا لحجم الأزمة وضعف السيطرة عليها. ومع تصاعد الأزمة وتسارع الأحداث، تُفقد القدرة على التقدير الصحيح ويزيد الاعتماد على التقييم العاطفي للأمور مما يؤدي لقرارات لا تصب في الصالح ونقترف العديد من الأخطاء التي تكلف الكثير من الخسائر جراء فقدان الاتزان وإساءة الفهم.

من المهم في هذا الشأن النظر إلى كيفية تخفيف حدة الأزمات ورفع اليأس والمشاعر السلبية التي تستولي علينا عند تفجرها، والتعامل الإيجابي معها وبذل الجهد لمنع تصاعدها ومحاولة استثمارها بتحويل مجراها من مصدر هدر للطاقات والجهود إلى منحة يرجى من ورائها مكاسب كثيرة. كما يمثل الوقوف على حقيقة الأزمات والتفكير في علاجها، أو الوقاية منها إن أمكن، والتخطيط لإدارتها بطريقة مناسبة من خلال تحديد مراحلها والتحكم فيها والاستفادة من نتائج الأزمات الشبيهة مدخلا مناسبا للتعاطي مع الأزمة وتجاوزها.

إن الإحاطة الكافية بمفردات الأزمة وما يتعلق بها من معلومات يمثل المدخل الطبيعي للتفكير الصحيح في علاج الأزمات وإدارتها بطريقة عملية مناسبة، ويمثل وجود تصور واضح لحدود الأزمة يتسم بالدقة وخريطة معلومات واضحة يمكن الاعتماد عليها مرحلة هامة في التقدم نحو اكتشاف حقيقة الأزمة - والتي كثيرا ما يصاحبها نوع من الغموض - ويساعد ذلك كثيرا في طرح الحلول المناسبة ووضع الخيارات البديلة.

وضرب لنا الرسول صلى الله عليه وسلم لنا المثل في ذلك عندما بادر في حادثة الإفك - والتي مثلت لبيت النبوة وللأمة جميعها واحدة من أشد الأزمات التي عانها المجتمع

المسلم- لتقصي الحقيقة وجمع المعلومات واستشارة أصحابه فيما يتعلق بحقيقة ما حدث وكيفية التعامل معه .

وتؤدي القدرة على الاتصال بالجماهير وشحذ طاقاتهم نحو مواجهة الأزمة خطوة بالغة الأهمية في تحجيم السلبيات المصاحبة للأزمة، مما يلزم معه وجود تصور واضح لعمليات التواصل معهم وآليات منوعة لمخاطبتهم والتأثير فيهم وتوصيل رسائل شديدة الوضوح لرسم أدوارهم المطلوبة وإمدادهم بالمعلومات الصحيحة المتعلقة بالأزمة لتحجيم ضرر الشائعات، والتي ترتبط غالبا ببيئة الأزمات، ويستدعي ذلك سرعة التحرك بشفافية والتواصل بقوة مع الجماهير من بداية الأزمة للاستفادة بمزية المبادرة وانتزاع وسائل التأثير من تلك الأيدي التي تحسن المتاجرة بمشاعر الناس وعقولهم وقت الأزمات .

إن التأثر بضغوط واقع الأزمات والاعتماد على الجوانب الوجدانية العاطفية أكثر من الجوانب العقلانية ينشأ عنه الخلل في تقدير الأمور ويبتعد بالقرارات عن الصواب ويترتب عليه تصاعد التوتر، ويمثل بداية الانفلات الذي يؤدي لتوسيع هوة الخلاف والانقسامات بين صفوف المجتمع ؛ لذلك كان لا بد من العمل على الإمساك بزمام الأمر مبكرا، واستنفار كل ما بداخل الجماهير من معاني الإيمان بالله والثقة في تأييده، واستخدام كل ما يتوافر من خبرات ومهارات، والاستفادة من مشاركة الآخرين بالمشورة، لتجنب الوقوع تحت تأثير أعراض أمراض وسلبيات كثيرة تولد وتنمو تحت ظلال ضغوط وغموض بيئة الأزمة.

ويمثل التيقظ لمواطن الخلل في المجتمع واستماع صافرات الإنذار وقت انطلاقها بحس مرهف، صمام أمان يمكننا مبكرا من اتخاذ الإجراءات الوقائية للتصدي لها والتجهيز السريع لخطط المواجهة، والاستعداد الدائم لوأد الفتن، والقدرة على قراءة الأحداث وسرعة التحرك لمنع وقوع الأزمة أو احتواء مخاطرها .

كما يمكن تحويل الأزمة من محنة إلى منحة نتمكن من خلالها من إطلاق القدرات الإبداعية واكتشاف مكامن الخير في كثير من النفوس، والتي لا تظهر إلا في مثل جو الأزمات، وبشيء من الكياسة وإعادة صياغة الظروف وبث معاني الثقة وكشف الشبهات وتوضيح الحقائق يمكن حشد الطاقات واستنفار الهمم للمواجهة، وتجميع الأمة للالتفاف حول هدف والتشمير نحو غاية بصورة لا يقوى عليها في وقت كما هي وقت الأزمات .

إن الأزمات إن لم تتم السيطرة عليها مبكرا تهدر الكثير من الجهود وتستنفذ مخزونا ضخما من الطاقات، ويخطو المجتمع بسببها خطوات إلى الوراء، وتمثل قبل السيطرة عليها خطرا على صحة المجتمع، فوقت الأزمة تتحير العقول وتنخفض المعنويات بصورة لا يرجى معها أداء جيد وإنتاج متميز .

ولذا فإن استخدام كل الإمكانات المتاحة بات ضرورة ملحة لإدارة الأزمات والتعاطي بطريقة منهجية معها بهدف التنبؤ بها والتعرف إلى أسبابها، وطريقة عملها للوقاية من مخاطرها أو مواجهتها بنجاح، مع استخلاص العبر واكتساب مهارات جديدة وخبرات متنوعة تطور من أساليب تعاطينا مع أزمات المستقبل .

ليالى كرداسة

(٢)

م.م. أنور رياض

قرية البيضاء ... مركز السنبلاوين
ذهب لمقابلة ... الشيخ محمد عبد المقصود ... مأذون القرية وعالمها ... رجل دخل مرحلة الكهولة ... هكذا يشير بياض لحيته وشعر رأسه الذى يظهر من تحت عمامته ... ولكنه خفيف الظل ... حلو الحديث والقفشات .. وجه باسم ينم عن روح الشباب .
قال له عبد الفتاح
- أفلت من الاعتقال يا شيخ محمد
رد ضاحكاً
- هل كنت تود أن أكون أنيساً لك ؟
قال عبد الفتاح
- معاذ الله ... يا شيخ ...
- على كل حال ... أنت ترى داخل هذه الجبة جسداً نحيلاً ... يكاد يتلاشى ... فهل أصلح لضيافة السجن الحربى
لم يبادله المزاح ... قال فى جدية
- عافاك الله ... يا شيخ ... ولكن ما رأيك فى أوضاعنا
قال الشيخ محمد
- ليس لها من دون الله كاشفة ... الصبر ... وانتظار الفرج ... يا عبد الفتاح لا تقلق فللبيت رب يحميه
دخل عليهما شاب ... واضح أنه أزهرى ... قدمه الشيخ محمد
- الشيخ عبد الفتاح فايد ... خطيب ابنتى
- مبروك ... ومتى إن شاء الله نحضر الفرح ... أم أن النية مبيته لعدم دعوتى
- يا عبد الفتاح ... أنت صاحب الفرح ... المهم هو الشقة ... شد حيلك يا عريس
قال الشيخ فايد
- ربنا يسهل ... القاهرة مدينة يتكدس فيها البشر ... وأزمة المساكن أوشكت أن تلجئ الناس إلى النوم على الأرصفة
وجه كلامه للشيخ محمد
- وهل الشيخ فايد ...
قاطعه ضاحكاً
- نعم يا سيدى ... من شباب الإخوان ... هذا عريس لقطة ... أنا لا أقع إلا واقفاً
- بارك الله فيهما ... وربنا يتمم بالخير ... الحديث أخذنا بعيداً ... أنا أعمل فى تجارة الحبوب ... وأريد منك مساعدتى فى تجميع المحاصيل من أهل بلدكم ... لما لك

عندهم من مودة

- غالى ... والطلب رخيص ... و ... هل لى عمولة ... ؟

رد ضاحكاً

- الدعوة الصالحة ... أفضل عمولة أقدمها لك

هكذا كان يتحرك عبد الفتاح إسماعيل ... فى حذر ... لاستكشاف الأرض التى حرثوها مطبات وحفر ... وتحت غطاء التجارة كان يدور الحديث ... يتخلله سؤال قد يفتح الطريق ... أو ... يغلقه بالضبة والمفتاح ... أحياناً كان يرى باباً تهب منه نسمة رحيمة ... وأحياناً أكثر كان يرى أبواباً مسكرة ... موصدة بوجوه متجهمة ... غير مرحبة ... زادها الخوف اكفهراراً وعبوساً ... ورسمها بظلال من الرعب بعد أن أفلتت من قبضة السجن الحربى وما سمعوه عن أهواله ... وصدقوا أن الجماعة دفنوها هناك .

السكك امتلأت ألغاماً ... والطرق الآمنة أصبحت ممرات التفافية ... ولا حول ولا قوة إلا بالله

غاب عن بلده شهراً ... وعندما عاد لم يجد أخاه على

- أخذته المباحث ... وقالوا عندما يعود عبد الفتاح ... يشرفنا

قابله حسن بك بقناعة الحديدى

- لقد حذرتك ... يا عبد الفتاح

- وما ذنب أخى ؟

- سنفرج عنه ... أين كنت ؟؟

- يا بك ... ظروف البيع والشراء ... أنا رجل أرزقي ... أسعى من أجل لقمة العيش

- طلبت منك الاتصال

- القرى ... لا يوجد بها تليفونات ... حتى المواصلات صعبة ... أنا أتحرك ماشياً ... على الأقدام ... أغلب الأحيان

- يعنى تمشى على حل شعرك ؟

- لا ... ولكن اسأل من أتعامل معهم ... الخواجة موريس ... والمقدس فلتس من كفر النصارى ... والحاج عبد المنعم عمدة كفر عبد المنعم و ...

- خلاص ... هذا تحذير

ويبدوا أنهم يئسوا منه ... أو سألوا عنه فاطمأنوا ... تركوه يسبح فى الأرض وكانت ... البداية الحقيقية ... عندما سعى إلى مقابلة الحاجة زينب .

٣

سيدة ارستقراطية ... غنية ... الفيلا ... والعربية ... والدخل ... الزوج رجل أعمال ... لديها كل ما يجعلها تنتمى إلى المجتمع الهاى ... هذه هى الحاجة ... زينب الغزالى

كان الشعب المصرى عند نشأتها يعيش إما تحت خط الفقر ... وهم الغالبية العظمى ... أو على خط الفقر نفسه ... وهى شريحة رقيقة وصفوها ظلماً بالطبقة المتوسطة ... ويفصلهما عن الطبقة الثرية مسافة قد تكون أبعد مما بين السماء والأرض

زينب الغزالى ... رفضت هذه الحياة ... بفطرتها ... رغم صلتها برجال الوفد وباشاواته ... علية القوم ... الوزراء ... الأسماء اللامعة فى عالم السياسة ... والنفوذ ... سراج الدين ... النحاس ... الزعيم الجليل ... اختارت ... وآثرت أن تستجيب لدواعى الإيمان ... فأسست جماعة السيدات المسلمات ... والتف حولها ... وتجمع معها كل من هو نافر من حياة الفراغ والضياع ... وكل من هرب بجلده من مستنقع الشياطين ... جماعة لفعل الخير ... مساعدة الفقراء والمحتاجين ... ورعاية اليتامى ... يدعم هذا

الاتجاه ... ويسنده ... توعية ... ودراسات ... ومحاضرات تدعو إلى دين حنيف لا تتم الصالحات إلا به ...

كان ذلك عام ١٩٣٦

اتصل بها الشيخ حسن البنا ... يدعوها إلى الانضمام بجماعتها إلى الإخوان المسلمين ... الحاجة زينب لها شخصيتها المستقلة ... لم ترفض ... لأنها سمعت عن البنا ودعوته ... وهو رجل صادق ... متجرد ... أمين ... توجهاته تتفق مع أهدافها ... إلا أنها لم توافق ... كان رأى البنا أن توحيد الجهد يعطى ثمرات أسرع ... والوحدة أساساً هدف إسلامي وكان رأيها أن فى التنويع مجال أوسع لخدمة الإسلام والمسلمين ... وعرضت بدلاً من الاندماج ... التعاون والتنسيق ... ولأن البنا كان شعاره الذى يرفعه دائماً ... نتعاون فيما نتفق عليه ... ويعذر بعضنا بعضاً فيما نختلف فيه ... فقد وافق

وهكذا عرف الإخوان الحاجة زينب محاضرة فى دار الإخوان ... وفى اجتماعات الإخوات المسلمات

أيقظتها محنة الإخوان الأولى ... عندما أصدر النقراشى قراره بحل الجماعة عام ١٩٤٨ ... استفزها الظلم ... والكيد الحقود لضرب الدعوة الإسلامية ... القوة الصاعدة التى تتصدى للمستعمرين الإنجليز ... والصهاينة الذين يغتصبون أرض فلسطين ... الأيدى التى تضرب ... مصرية ... قاصرة ... وغبية ... والمحرض ... عدو خبيث ... والملتقى للإيذاء ... هو المدافع الحقيقى ... والمدرك لأهدافهم ونواياهم ... والضحية فى النهاية ... هو الشعب المسالم ... الموجود دائماً فى حالة تخدير ... وفقدان للوعى

أحست بأن الضربة أصابتها ... فهى جزء من الدعوة الإسلامية ... وأحد روافدها لم تنتظر من أحد أن يشعرها بما يجب عليها فبدأت حملة لجمع التبرعات وإعالة أسر المعتقلين ... فى الوقت الذى بدت فيه حكمة الهروب من السفينة الغارقة ... وأنجو سعد ... فقد هلك سعيد ... إلى هنا ... ومن واحدة ست ... فإن الشكر يكون واجباً مستحقاً لها ... إلا أن طبعها المتحدى دفعها إلى الاتجاه المعاكس للريح ... والتيار ... أرسلت إلى البنا ... ورقة كتب فيها :

سيدى الإمام حسن البنا ...

زينب الغزالى الجبيلى ... تتقدم إليك اليوم ... وهى أمة عارية من كل شئ ... إلا ... من عبوديتها لله ... وتعبيد نفسها لخدمة دعوة الله ... وأنت اليوم الإنسان الوحيد الذى يبيع هذه الأمة بالثمن الذى يرضيه لدعوة الله تعالى

فى انتظار أوامرك ... وتعليمات سيدى الإمام

وكانت بيعة ... أكدتها بصراحة أكثر ... عندما قابلته قبل استشهاده على سلم دار الشبان المسلمين ...

اللهم إنى أبايعك على العمل لقيام دولة الإسلام

وأرخص ما أقدم فى سبيلها دمى والسيدات المسلمات بشهرتها

وهى البيعة الذى ذكرها لها عبد الفتاح إسماعيل عندما قابلها فيما بعد أثناء موسم الحج ... وهو يذكر أيضاً ما فعلته خلال أم المحن سنة ١٩٥٤ كان هو فى السجن الحربى ... وتكررت نفس المعادلة مع التعديلات إلى الأسوأ ...

الأيدى التى تضرب ... أيضاً ... مصرية ... ولكنها هذه المرة أيدى نجسة ... غبية حاقدة ... نعم ولكنها على دراية ومشتركة ... ومتورطة ... والمحرض استعمار جديد

وصهاينة لئام على الحدود ... عقدوا الصفقة ... على الأول الوفاء ببغيه وطغيانه أملاً فى الثمن ... وعليهم كطرف ثانى هو الخداع ... والمراوغة ... والثمن الذى سيدفعونه ... هو الغدر لطرف لا يستحق منهم إلا الاحتقار ... حيث لا يوجد فى أدبياتهم حاكم يستحق احترامهم يقوم بإهدار إنسانية شعبه وأبناء جلدته ... أما بقية المعادلة فهى ... هى ... لم تتغير ... الضحية شعب مسالم يعيش فى غيبوبة وغفلة

كانت محنة ١٩٥٤ عبارة عن نفق ضخم مظلم معتم ... مقبرة هائلة أرادوا ... دفن الإخوان المسلمين فيها ... دعوة ... وفكراً ... وشخوصاً أحياء ... إذا لزم الأمر ... كانت موجات الحقد طاغية ... تقذف حمماً بركانية تجرف أمامها بنيان الدعوة فى طوفان لتقبره فى هذا النفق .

لم تتخل عن دعوتها ... ولكن التحدى كان عاجزاً عن الوفاء بطلبات الآلاف من الأسر ... التى انكشفت عريا ... وجوعاً ... أطفال ... ورضع ... وطلاب فى المدارس والجامعات ... نساء عفيفات ... وشابات حوامل ... وأمهات وآباء ... فى سن الشيخوخة والعجز ... لقمة العيش ... والدواء ... وإيجار الشقق ...

فى هذا لم يكن الدافع هو الحكمة للقفز من المركب الغارقة ... وإنما هو الفزع ... والرعب ... الذى شل أيدى الخير ... وقطع دابر الهمة وطمس على مشاعر الأخوة والنجدة

وقفت ... وحيدة ... سيدة ... بلا عون

ذهبت إلى الشيخ محمد الأودن ...

جلست إليه مطرقة

ثم قالت :

- أنت تعلم يا مولانا أنى على بيعة الإمام البنا ... وعلى العهد ... ولكن اليد عاجزة عن الوفاء ... موجة الظلم عاتية ... أنى أعيش مأساة الأسر الكريمة التى اجتمع عليها كارثة الزوج الذى يكتوى بنار الفجار ... وفاجعة الدخل الذى انقطع عن الزوجة والأولاد .

بكى الشيخ التقى ... وقام فقبل رأسها ... وقال مثبتاً :

- استمرى يا ابنتى ... فو الله لن يخذلك ... وسيجعل لك مخرجاً

- أنا على ثقة فيمن معى من السيدات المسلمات ... هن معى ... ولا يدخرن طاقة إلا وبذلوها فى سبيل الله

- استعينى على قضاء حاجتك بالكتمان ... والحذر ... وعضى على أصل الشجرة ... فإن مع العسر يسرا .

قالت :

- أنا على صلة بالسيدة المجاهدة زوجة الإمام الهضيبى وبناتها ... والمجاهدة بنت العشماوى باشا زوجة المستشار منير الدلة ... وأخوات الأستاذ سيد قطب ... وهن يتلقين بعض العون ... والاتصالات بيننا سرية ... وقد جئت لك لأتزود منك بالنصح ... والتثبيت ... بعد أن عز الناصح ... وندر الصديق .

- سيرى على بركة الله يا بنيتى ... واعلمى أن أمل الإسلام فى هذه العصابة من الإخوان المسلمين ... والله لا يخذل أبداً من يجاهد فى سبيله ... هو ابتلاء ... ليميز الله المؤمنين ... الصادقين .

كان ذلك ... قبل لقائها الشاب ... عبد الفتاح إسماعيل ... أو الشيخ عبد الفتاح كما صارت تدعوه ...

وكان اللقاء ... بداية لجولة جديدة فى الصراع بين الحق ... والباطل هكذا ... دائماً تجرى سنة الله .

يوميات إسلامية

إعداد : علي عبيد

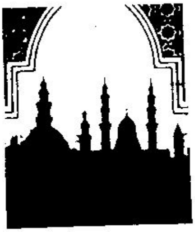

• في مقابلة أجرتها معه صحيفة دير تاجستسايتونغ الألمانية دعا وزير الداخلية الألماني فولفغانغ شويبلة إلى الاعتراف رسميًا بالدين الإسلامي في ألمانيا ، مشيراً إلى أنه يسعى إلى منح المنظمات الإسلامية وضعًا قانونيًا مشابهًا لما تتمتع به الكنيستان الكاثوليكية والبروتستانتية .. وعبر الوزير الألماني عن أسفه لعدم دعوة أي من ممثلي المسلمين للمشاركة في احتفال رسمي أقيم في ٢٣ مايو الماضي بمناسبة مرور ٦٠ عامًا على تأسيس ألمانيا الحديثة وصدور دستورها ، وشدد على أن ما حدث في هذا الاحتفال شكل خطأ لن يتكرر في المناسبات القادمة .. فيما أرجع تأخر اعتراف بلاده الرسمي بالإسلام حتى الآن "إلى افتقاد الدولة الألمانية لشريك واحد تحاوره ممثلاً للأقلية المسلمة المقدرة بأكثر من ٣.٥ ملايين نسمة" .

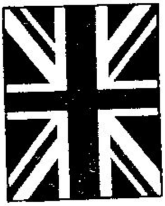

• في مقال له لصحيفة "صنداي تلجراف" البريطانية صرح الأسقف الأنجيليكاني بول ريتشاردسون، وهو مساعد أسقف كنيسة "نيوكاسل" ، بأن "بريطانيا المسيحية قد ماتت" .. وأن "كنيسة إنجلترا ربما تنقرض في غضون ٣٠ عامًا من الآن" وأضاف الأسقف قائلاً : إن بريطانيا لم تعد دولة مسيحية، فقد انخفضت أعداد المواليد الذين يجري تعميدهم في الكنائس من ٦٠٩ لكل ألف طفل عند بدايات القرن العشرين إلى ١٢٨ طفلا فقط في ٢٠٠٦/٢٠٠٧ كما تقلصت أعداد الزيجات التي تجري مراسمها في الكنائس .

● كشفت مجلة "دير شبيجل" الألمانية أن دوافع عملية خطف السياح الأجانب التسعة، وقتل ثلاثة منهم في شمال غرب اليمن منتصف يونيو الماضي كانت بسبب تورطهم في أعمال تنصير .. حيث وقعت مشاحنات قبل أشهر، بين أحد المسلمين ومهندس ألماني يدعى يوهانس اتش الذى يعمل في مدينة "صعدة" مع زوجته الألمانية سابينا .. وكانت مجموعة من المسلمين قد طالبت المهندس بوقف محاولات التنصير التي يقوم بها، وهددته برفع الأمر إلى القيادات الدينية .

● في واقعة يصعب تصديقها فوجيء المواطن المصري فوزي راشد السيد محمد بقلم الرسوم القضائية فى محكمة شمال القاهرة الابتدائية بالعباسية يطالبه بدفع رسوم قدرها ٣٤ مليار جنيه رسوم قضائية وإيجار مستحق عن شقة متواضعة طيلة مدة سريان عقد الإيجار التي تمتد لـ ٥٩ عامًا بشارع الخليج المصري بالأميرية .

رامسفيلد

● فى تقرير لها كشفت شبكة "سكاى نيوز" التليفزيونية البريطانية تفاصيل أعنف وأضخم عملية عسكرية نفذتها القوات الأمريكية فى مدينة الفلوجة سراً عام ٢٠٠٤ واستخدمت فيها أسلحة محرمة دولياً ضد المدنين، ما خلف جيلا من الأطفال المشوهين .

● في ندوة لمعهد واشنطن تحت عنوان : "السلام من خلال الأمن .. الدور الأمريكي في تطوير قوات أمن السلطة الفلسطينية" اعترف الجنرال الأمريكي كيث دايتون المنسق الأمني الأمريكي بين "إسرائيل" و"السلطة الفلسطينية" في خطابه بأن التنسيق الأمني بين "إسرائيل" و"السلطة الفلسطينية" منع انتفاضة ثالثة، وذلك بحسب "فلسطين اليوم" .. فيما أكد دايتون في خطابه أيضًا : "دعوني أعلن بشكل واضح وجلي عن قناعتي الراسخة، بأن الروابط بين الولايات المتحدة و"إسرائيل" غير قابلة للانفصام لا اليوم، ولا غداً وستبقى إلى الأبد".

دايتون

جيتس

● رداً على العملية العسكرية "طعنة الخنجر" الواسعة النطاق التى شنتها قوات الاحتلال الأجنبية في جنوب أفغانستان .. قامت حركة "طالبان" بإطلاق عملية "شبكة الحديد" التى جعلت عملية "الخنجر" عاجزة عن تحقيق أي من أهدافها، فيما أشار المراقبون إلى أن العمليات العسكرية التي تشنها قوات الاحتلال الأجنبية تفشل في تحقيق أهدافها بسبب كثرة الألغام الأرضية التي زرعتها طالبان، فضلاً عن أن جنود الاحتلال لا يزالون خائفين من دخول القرى التي تسيطر عليها المقاومة، وقال يوسف أحمدي المتحدث باسم طالبان في اتصال هاتفي مع وكالة فرانس برس : "سيقبض على خنجرهم في شبكتنا الحديدية، وسنلقنهم درسًا يجعلهم لا يجرءُون إطلاقًا على المجيء لمناطقنا" .

● هل يحدث وتذهب بسيارتك إلى بائعى السمك بدلاً من محطة الوقود .. فقد طور العلماء في الصين مادة محفزة كيميائية من قشور الجمبري يمكن تحويلها إلى وقود ديزل حيوي رخيص وصديق للبيئة، فيما قال العلماء مؤخراً: إن هذا الوقود يقلل إلى أقصى حد إنتاج النفايات والتلوث، ويحمي الطبيعة.

● أعترف القس ريتشارد لاند رئيس المؤتمر المعمدانى الجنوبى بأمريكا بأن الكنيسة الأنجليكانية التي يتولى زعامتها تعتبر ولاءها الأول للكيان الصهيوني .. جدير بالذكر أن هذه الكنيسة تتمتع بنفوذ كبير لدى دوائر صنع القرار فى واشنطن خاصة الكونجرس .. ويبلغ أتباعها في أمريكا أكثر من ١٦ مليون شخص، ولديها أكثر من ٤٢ ألف كنيسة عبر الولايات المتحدة .

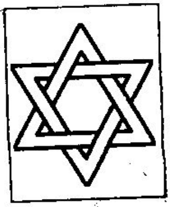

● وفقًا لاستطلاع للرأي نشرته صحيفة "الإندبندنت" البريطانية مؤخراً رأى ٥٨٪ من البريطانيين عدم إمكانية تحقيق الانتصار في الحرب المستعرة في أفغانستان، وطالبوا بسحب القوات على الفور .

● فى استطلاع أجرته مؤخراً يديعوت أحرونوت أظهر أن ثلثي الإسرائيليين يريدون إعادة بناء الهيكل المزعوم مكان المسجد الأقصى بعد تدميره .

مع الباعة والمكتبات ودور النشر

خصم ٢٠٪ لقراء المختار الإسلامى وللجملة سعر خاص

اسم الكتاب	اسم المؤلف	السعر
مكتبة أحمد ديدات (٨ أجزاء)	أحمد ديدات	١٥,٠٠
كلمتنا فى الرد على أولاد حارتنا	عبد الحميد كشك	٢٠,٠٠
قصة أيامى - مذكرات الشيخ كشك	عبد الحميد كشك	١٥,٠٠
فتاوى الشيخ كشك (جـ١ إلى جـ٨)	عبد الحميد كشك	١٥,٠٠
متى نصر الله ؟؟	مهندس صالح الحديدى	١٥,٠٠
آيات الرحمن فى خلق جلد الإنسان	د. محمد زكريا	٦,٠٠
علم اليقين قى خلق الجنين	د. محمد زكريا	٧,٠٠
سيد قطب بين معارضيه ومؤيديه	أحمد عبد المجيد	١٥,٠٠
عقيدة الشهيد المفترى عليها	ولاء حامد	٥,٠٠
ماذا تعرف عن الإخوان	ولاء حامد	٤,٠٠
محاولة فاشلة لتنصير طالب أزهرى	د. عبد الودود شلبى	٥,٠٠
القابضون على الجمر	محمد أنور رياض	١٢,٠٠
مختصر السيرة النبوية	د. صلاح عدس	٤,٠٠
قصص القرآن للأطفال (١٥ جزء)	عماد الدين شرف	٣,٠٠
قصص الحيوان المصورة بالألوان	عاطف سعودي	٤,٠٠
الإسلام بين جهل ابنائه وعجز علمائه	عبد القادر عودة	٣,٠٠
المال والحكم فى الإسلام	عبد القادر عودة	٥,٠٠
الإسلام وأوضاعنا السياسية	عبد القادر عودة	١٠,٠٠
الإسلام وأوضاعنا القانونية	عبد القادر عودة	٥,٠٠
البابا الذى لا يعرف شيئا	د. عبد الودود شلبى	٦,٠٠

ومقرنا : ٣ حارة الجمل - السيدة زينب - تليفون وفاكس ٢٣٩٢٢١٥١

السابقون إلى الدار الآخرة

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا لله وإنا إليه راجعون

محمد مهدى عاكف

المرشد العام للإخوان المسلمين وإخوانه

ينعون إلى الشعب المصرى والعالمين العربى والإسلامى

لواء بحرى / أحمد رمزى

الذى كان رمزاً من رموز القيم ، وعلماً من أعلام الرجولة ، وشامة من شامات الأخلاق الكريمة .. داعين الله عز وجل أن يكون الفقيد العزيز ممن ينالون رحمات رمضان ، وأن يلهم أهله وذويه وأصدقاءه ومحبيه الصبر الجميل ..

وإنا لله وإنا إليه راجعون ..

﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ﴾

كأن الموت فيها على غيرنا قد كُتب ، وكأن الحق فيها على غيرنا قد وجب ، وكأن الذى نشيع من الأموات سُفر عما قريب إلينا راجعون .. نبوئهم أجداثهم .. ونأكل من تراثهم .. كأنا مخلدون بعدهم .. طوبى لمن أنفق الفضل من ماله .. وأمسك الفضل من قوله .. طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس .

اللهم ارحم أخونا الكبير من الرعيل الأول من جماعة الإخوان المسلمين المحظوظة .. اللهم وسع مدخله واستر عورته .. وآمن روعته .. واجعل قبره روضة من رياض الجنة .. واغسله بالماء والثلج والبرد .. ونقه من خطاياه كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس .. اللهم اجعله فى أعلى عليين مع الصديقين والشهداء والصالحين وحُسن أولئك رفيقا .

اللهم اجعله برفقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الفردوس الأعلى .. وألحقنا به على أحسن حال

اللهم لا تحرمنا أجره .. ولا تفتنا بعده .. واغفر لنا وله ..

وصلى اللهم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ..

حسين عاشور

وأسرة المختار الإسلامى